الأبحاث والدراسات

133

إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر، لغيثان بن جريس (جدة : دار العويفي ، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م). ص ص ١٠٩ – ١٨٣ .

المبحث الرابـــع :

إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين (*)

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريـــــس

أستاذ ورئيس قسم التاريخ

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

(*) هــذا الــبحث قــدم ضمن ندوة إتحاد المؤرخين العرب ، المنعقد بالقاهــرة فــي الفترة الممتدة من (٨-١٠/شعبان/ ١٤٢٠هـ - الموافــق ١٦-١٨/نوفمــبر/ ١٩٩٩م) ، ثــم نشر ضمن بحوث الــندوة في كتاب : العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) . منشورات إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ،(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص ٤٠٩-٤٥٩ . كمــا أضيف عليها بعض المعلومات ، وقدم محاضــرة في (سمنار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية والإدارية، جامعة الملك خالد في (١٨/٧/١٤٢١هـ- الموافق ١٥/١٠/٢٠٠١م) .

فهرس محتويات بحث
(إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين)

تابع : فهرس محتويات بحث
(إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين)

إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين

أ - مُقَدِّمَة

إن شـــبه الجزيرة العربية ، جنوبيها بعامة ، ومنطقة عسير بخاصة من المناطق الـــتى عانت،عبر العصور الإسَلامية ، قصوراً في تدوين تاريخها وتراثها ، وذلك لعدة أسباب منها :

١ - بعدهــا عن مواطن الحضارات الإسلامية في كل من الشام والعراق وفارس ومصــر وبلاد المغرب وغيرها ، فبعد خروج مقر الخلافة الإسلامية من شبه الجزيرة في عهــد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شابها فقر في تدوين تراثها وحضارتها ،

٢ - إن صــعوبة التضـــاريس في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية ، مثل : مــنطقة عسير وما حولها ، جعلها في معزل عن بقية بلدان العالم ، مما جعلها منســية في أغلب كتب التراث الإسلامي خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ،

أمــا وضــع إقليم عسير في العصر الحديث والمعاصر فإنه أحسن حالاً من العهــود الإســلامية السابقة ، حيث بدأ الاهتمام بها من الناحية العلمية والفكرية ، فظهــر خــلال القرنين الماضيين عدد من المؤرخين بدأوا الكتابة عنها وإبراز أهميتها السياســية والحضــارية[١]، ولم يقتصــر هذا الاهتمام على المراجع والمصادر العربية فحســب، بل ظهر بعض الأوربيين الذين أدرجوها ضمن بعض مؤلفاتهم[٢] ، ثم وفد بعــض الــرحالة الأوربيــين إليها ، فدونوا عنها كتباً لخصوا فيها رحلاتهم وتجاربهم ومشــاهداتهم في تــلك الربوع، وأحياناً سجلوا وجهات نظرهم عن تاريخ واداب

وحضـــارة إقليم عسير. ورغم أن بعض هؤلاء الرحالة الأوربيين جاءوا إلى منطقتنا المعنية بالدراسة لأهداف معينة ، فإنهم بدون شك جمعوا لنا مادة علمية قيمة صورت لنا مظاهر الحياة في بلاد عسير خلال الفترات التي جاءوا فيها. وسبب اختيارنا هذا البحث هو الشعور بأن ما دونه أولئك الرحالة يحتاج إلى التوقف معه لكي نرى كيف رأوا إقلـــيم عســـير في فترات متباعدة ، ثم إن كتبهم التي وصلتنا تعتبر حقيقة من المـــراجع الجيدة التى دونت تاريخ وحضارة إقليم عسير في فترة لم يكن قد دُوِّن عنه الشـــيء الكثير. ولهذا فقد قصرت دراستي على الرحالة الأوربيين الذين وفدوا إلى مـــنطقة عســـير خـــلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشـــرين الميلاديـــين) ثم دونوا عنها دراسات تم نشرها وتداولها فيما بعد. وعند الاطـــلاع عـــلى سيرة أولئك الرحالة الذين توفرت فيهم صفتا التجوال في منطقة عسير، ثم تدوين ما شاهدوا في كتب مستقلة ، وجدناهم ثلاثة هم[٣] :

أ - موريس تاميزيه الفرنسي ، الذي ألف كتاباً بعنوان :" رحلة في بلاد العرب [الحملة المصرية على عسير عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م)]، ترجمة الدكتور/ محمد آل زلفة.

ب - السيركيناهان كورنواليس ، الذي ألف كتاب " **عسير قبل الحرب العالمية الأولى**".

جـ- سانت جون فيلبي ، أو (عبد الله فيلبي) الذى سطر كتاباً بعنوان " **النجود العربية**".

هـــؤلاء الـــرحالة الثلاثة هم محور حديثنا في هذه الورقة ، وقد قسمنا خطة الدراسة إلى محاور أربعة هى على الترتيب :-

١ - إعطـــاء فكـــرة عن المفهوم الجغرافي والسياسي لإقليم عسير خلال الفترة موضـــوع الـــبحث " القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين " ، وبذلك

يتضـــح لـــنا المســـار الذي نستطيع أن نتحرك من خلاله أثناء فترة أولئك الرحالة .

٢ - الإشـــارة إلى نبذة تاريخية وسياسية لإقليم عسير خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) .

٣ - تـــرجمة موجـــزة لهؤلاء الرحالة الأوربيين مع الإشارة إلى أعمالهم وظروف بعثهم إلى بلاد عسير .

٤ - دراســـة نقدية تحليلية لكتب هؤلاء الرحالة التي تعرضت لمنطقة عسير، مع العـــناية بإجـــراء دراسة مقارنة بين ما دونه كل منهم ، وتبيان أوجه الشبه والاختلاف فيما بيـــنهم. والخـــروج ببعض النتائج الهامة من وراء تلك الدراسة .

ب ـ مفهوم إقليم عسير :

حـــتى تتضـــح لنا الصورة حول تسمية " عسير " ، فإننا سوف نقدم نبذة يسيرة عن مفهوم التسمية لهذه البلاد وعن المترادفات لها المستخدمة في أيامنا هذه ، كإقلـــيم عسير، وبلاد عسير،ومنطقة عسير، وعسير قصد الاختصار، والذى يتبادر للأذهان ، هل كانت عسير معروفة للجغرافيين والمؤرخين الأوائل بهذا الاسم ؟ فإذا كان الجواب بالنفي ، فكيـــف ظهرت هذه التسمية ، وما الدافع في إطلاق التعميم عليها ؟ وهل حلت محل تسميات سابقـــة لها ؟ .

والـــثابت في المصادر الجغرافية والتاريخية ، وكتب التراث الإسلامي ، عدم ذكـــر هذه التسمية وبيان معالمها الجغرافية ، باعتبارها وحدة مستقلة عن الحجاز أو الـــيمامة أو البحرين أو اليمن، والتي تعد إدارياً تابعة لدار الخلافة بالمدينة المنورة ، ثم دمشق وبغداد أيام الأمويين والعباسيين .

وفي هـــذا الصدد يشير الهمدانى (٢٨٠-٣٣٤هـــ) في كتابه (صفة جزيرة العرب) إلى اسم عسير ، ويذكر ما نصه : " **ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عــنز، ثــم يواطن حزيمة عن شاميها عسير ، قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت ، ودخـلت في عـنز ، فأوطـان عسـير إلى رأس تيه ، وهى عقبة من أشراف تهامة ، وهى أبهـا وبها قبر ذى القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة، والـدارة، والفتيحا ، واللصبة ، والملحة، وطبب ، وأتانة ، وعبل ، والمغوث ، وجرشة ، والحدبـة ، هذه أودية عسير كلها...**"[٤] **وفى موضع آخر يذكر الهمداني مايلـــي :** " **والـدارة ، وأبهـا ، والحلـلة ، والفتيحا ، فحمرة وطبب ، فأتانة والمغوث، فجرشة ، فالأيداع أوطان من عسير من عنز وتسمى هذه أرض الطود ...**"[٥] .

والشــيء المميــز في هذه المعلومات التى أوردها الهمدانى ، هو قدمها الذي يعود إلى بداية القرن الرابع الهجرى ، وما عدا ذلك فإنها غير كافية في توضيح تسمية بلاد عسير ، وإنما أوردها ضمن عنوان عام سماه "جرش وأحوازها " وبمعرفة موقعها مــن ســياق الحديث في ذكر المواطن التى أشار إليها الهمدانى ، تجدها تشغل مساحة صغيرة من مخلاف أو (إقليم جرش) الذى كان يشمل أغلب أجزاء عسير في أيامنا ، ولم تكن عسير في عهد الهمدانى تشمل إلا جزءاً بسيطاً ، هو الموقع القائمة عليه الآن مديــنة أبها وما حولها ، أو ما يسمى بمواطن قبائل عسير المعروفة باسم : بني مغيد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبني مالك.

وبعد الهمدانى جاء العديد من الجغرافيين والرحالة المسلمين فتعرضوا لأجزاء من منطقة عسير دون تسميتها بهذا الاسم ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : ابن خرداذبة، والأصطخرى ، وابن حوقل، والإدريسى ، والبكري ، ويا قوت الحموى ، وابــن جبير، وابن المجاور وغيرهم ، فبعض منهم ذكر أقسام شبه الجزيرة العربية بما فيها أجزاء من منطقة عسير وضمها إلى بلاد الحجاز، وأحياناً يسميها بعضهم بسلسلة جبال الحجاز ، خاصة القسم الجبلي من السلسلة ، وسميت كجزء من بلاد السراة ،

وأحيانـــاً أخرى ينعتها بعضهم باسم السروات التي سميت بتسميات متعددة حسب أقسامها ، ومنها : سراة جنب ، وسراة عنز ، وسراة الحجر ، وسراة خثعم ، وسراة دوس ، وسراة بجيلة ، ثم استمر في ذكر سروات أخرى حتى الطائف ، وهذا التركيز مـــن جانب بعض الجغرافيين ، الذين أوردوا مسمى السروات ، أوضح لنا مجموعة أسمـــاء الســـروات الـــتى تقـــع في إقليم عسير في عصرنا هذا ، وهى سراة جنب (قحطان)،وسراة عنز (عسير)، وسراة الحجر (والمقصود بها بلاد بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) وسراة خثعم (وهى أجزاء من بلاد بلقرن وشمران وخثعم)، دون أن يـــرد ذكر اسم عسير على وجه الإطلاق في التسمية ، وفي روايات أخرى ذكر مصطلح (مخاليف) أو (نواحي) ، كأن يقال مخلاف جرش ، أو تبالة ، أو نجران أو حـــلي وغيرهـــا مـــن المسميات دون ذكر مسمى عسير على تلك النواحي أو المخاليف[٦] .

والواقـــع أن مـــا يشـــتمل عليه مصطلح إقليم عسير لم يكن معروفاً لدى المؤرخين والجغرافيين الأوائل ، وإنما جميع الولايات الكبرى في شبه الجزيرة العربيـــة (كاليمن والحجاز، واليمامة والبحرين) كانت تابعة لدار الخلافة الإسلامية في دمشق ثم بغداد ، وكثيراً ما كانت تشمل الأجزاء الداخلية في بلاد تهامة والسراة ، أو البلاد الواقعة بين مكة المكرمة والطائف شمالاً ، وحواضر اليمن الكبرى جنوباً كانت كلها تخضع في بعض الأحيان لسلطة شيوخ القبائل المحليين في تلك الأجزاء ، وقد نستنتج أن بلاد عسير وما حولها من المناطق لم تكن لها حدود سياسية ثابتة وإنما كانت تعتمد على المفهوم الجغرافي ، فعسير لم تكن معروفة كوحدة جغرافية وإدارية خلال العصور الإســـلامية المبكرة والوسطى ، لكنها تمتعت باستقلال إداري دون غيرها من مناطق الجزيرة ، وإن كان الأمر يتفق مع وحدتها الجغرافية في مأمن من الطامعين فيها من قبل حكام الإمارات المجاورة لها والتى أعلنت استقلالها إبان العصور الوسطى ، وقد حاول

بعـــض مـــنها بسط سيطرتها عليها، لكن هذه السيطرة سرعان مازالت بسبب شدة مراس أهلها وأنفتهم ، وعدم خضوعهم لغيرهم إلى جانب كثرتهم ، ووعورة المنطقة وصعوبة مسالكها[7] .

لقد ظهر اسم عسير كمصطلح سياسى وجغرافى في أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة ، خاصة عند الكتاب الغربيين، ومنهم البريطانيون، حيـــث كـــلفت الإدارة البريطانية القسم الجغرافي والمخابرات البحرية البريطانية ، بـــإعداد بحـــث عـــن عسير يتضمن موقعها وحدودها ، ومظاهر الطبيعة المختلفة ، وأحـــوال السكان من حيث العادات وطرق العيش ، إلاّ أن ذلك البحث لم يوضح حـــدود قبيلة عسير بالنسبة لبقية القبائل الساكنة في هذا الإقليم ، لكنه أشار إلى أن اســـم عســـير اقتصر على التلال الرئيسة والمنطقة التي تعيش فيها قبائل بني مغيد، وعـــلكم ، وبـــني مـــالك ، وربيعة ورفيدة ، وجميعهم يسكنون حول العاصمة أبها بمســـافات مـــتفاوتة ، وحتى ذلك الحين لا تعرف تلك القبائل حدودا معروفة وثابتة لعسير[8] .

وتـــلي هـــذه الدراســـة ، دراسات عديدة ، رسمت صورة أوضح للحدود الجغـــرافية للإقليم العسيري ، فبعضها يشير إلى حدود عسير في نطاق محيط القبائل العسيرية الأصلية، وهى بنو مغيد، وعلكم، وبنو مالك، وربيعة ورفيدة ، في حين أن هـــناك كتابات أخرى أضافت بلاداً أخرى إلى محيط القبائل السالفة الذكر، وأضاف آخـــرون بعض القبائل المجاورة والقريبة من بلاد عسير من الشمال فامتد إلى الليث وغـــامد وزهـــران وبيشة ومن الجنوب إلى ظهران الجنوب ونجران وجيزان. وهذا التباين نتج من الأحداث السياسية والعسكرية التى عاشتها منطقة عسير ، فالإمارة في أبهـــا امـــتد نفوذها إلى مناطق أبعد من المدينة نفسها، مما أصبغ عليها وعلى المنطقة المحيطة بها اسم عسير ، وبهذا تم تحديدها وتسميتها بهذا الاسم ليشمل المنطقة الممتدة

مـــن زهـــران شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً ، بناء على المفهوم السياسى والتاريخي للمنطقة دون المفهوم الجغرافي[٩] .

وخلاصة القول أن (عسير) لم تكن معروفة بهذا الاسم في العصور الإسلامية الوســطى، وإنما هو مصطلح حديث لم يتجاوز تاريخ ظهوره أكثر من قرنين ونصف القرن .

جـ- نبذة تاريخية وسياسية عن إقليم عسير خلال القرنين ١٩/٢٠م

منذ السنوات الأولى في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وعسير بجميع قبائلها كانت تحكم عن طريق رؤساء القبائل المحليين ، فكانوا أصحاب الـــنفوذ في إدارة شؤون بلادهم التي عمت فيها الفوضى والخلافات المتعددة ، وفي الوقـــت نفســـه كانت قد ظهرت دعوة الإصلاح التى قام بها الشيخ /محمد بن عبد الوهاب في نجد ، ثم انتشرت مبادىء تلك الدعوة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية ، فلم يحل منتصف العقد الثانى من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) إلاّ وقد ظهر بعض المصلحين في بلاد عسير ، كمحمد وعبد الوهاب أولاد عامـــر أبي نقطة اللذين انضما إلى دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب ، فقاما بنشر مـــبادئها بين أهالي عسير ، وعملا جاهدين على حكم البلاد العسيرية ، تحت مظلة الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـــ/١٧٤٤-١٨١٨م)[١٠] .

وبعد عهد أولاد أبي نقطة (١٢١٥-١٢٢٤هـــ/١٨٠٠-١٨٠٩م) ، تولى الإمـــارة في عسير أحد أبناء عمومتهم ويدعى طامي بن شعيب فواصل سياسة أبناء عامر أبي نقطة في حكم البلاد، إلاّ أن الظروف في عهده اختلفت عما سبقه ، وذلك بظهـــور عدو جديد للدولة السعودية ، وهذا العدو كان متمثلاً في والي مصر التابع للدولة العثمانية ، محمد علي باشا، الذي كُلف من قبل الحكومة العثمانية في الآستانة، بأن يرسل جيوشه إلى شبه الجزيرة العربية لمحاربة ابن سعود هناك ، وعلى أثر ما جاء

محمد علي من أوامر أرسل الجيوش إلى كل من نجد والحجاز وكذلك الأجزاء العسيرية التى كان يحكمها طامي بن شعيب، فدارت معارك متعددة بين أهالي نجد والحجاز والبلاد العسيرية وبين جيوش محمد علي في الفترة مابين (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م-١٢٢٨هـ/١٨١٣م) ، ولكن في عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م قرر محمد علي باشا أن يذهب من مصر إلى شبه الجزيرة العربية لكى يقود جيوشه بنفسه ضد ابن سعود ومن والاه ، وعند وصوله إلى بلاد الحجاز اشتبك في حروب عدة مع القبائل والجيوش الموالية لابن سعود ، وكان من ضمن تلك الجيوش قبائل عسير التى كان يتزعمها ويقودها الأمير طامي بن شعيب ، ومن أشد المعارك التي حدثت بين الطرفين معركة وادي بسل بأرض تربة، جنوب الطائف ، في عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م، حيث هزمت فيها الجيوش الموالية لابن سعود، ثم تعقب محمد علي باشا بعدها القبائل العسيرية متجهاً نحو الجنوب حتى وصل إلى مدينة أبها ، فحاصر طامي بن شعيب بها حتى سيطر عليها وقبض على الأمير طامي وأرسله إلى تركيا ليُقتل هناك، ثم بقي بمدينة أبها شهرين وعدة أيام استقبل خلالها شيوخ قبائل عسير وأعيانها لتقدم له الولاء والطاعة[١١]، ثم غادر بعد ذلك بلاد عسير راجعاً إلى مصر بعد أن ترك بها حامية عسكرية عثمانية، لكن هذه الحامية التركية لم تستمر أكثر من ستة أشهر في حكم بلاد عسير ، لأن أحد أبناء عم الأمير طامي بن شعيب، ويدعى محمد بن أحمد المتحمى، قام بثورة محلية استطاع فيها أن يطرد تلك الحامية التركية ويسيطر على البلاد ، غير أنه لم يتمتع بنجاح ثورته إلا فترة لاتزيد عن العام ، لأن جيوش محمد علي باشا ذهبت من الحجاز إلى بلاد عسير مرة ثانية فسيطرت عليها وأعادت الحامية التركية التى طردها محمد أحمد المتحمى إلى مقرها في حكم البلاد[١٢].

عندما لم يستطع محمد بن أحمد المتحمي التصدي لجيوش الأتراك ، فر هارباً إلى منطقة جازان واتصل بأمير تلك البلاد حمود أبي مسمار (١٢١٦هـ/١٨٠١م-

١٢٣٣هـــ/١٨١٧م) طالـباً منه العون في طرد الأتراك من عسير ، بل رحب به ليســتولى عليها، فكانت فرصة الأمير حمود حيث استطاع طرد الأتراك وسيطر على بــلاد عسير في عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م ، ثم خلفه في حكمها ولده أحمد بن حمود أبي مســمار ، ثم وزيــره الحسن بن خالد الحازمي[١٣] . ولكن جيوش الأتراك في الحجاز مع شريف مكة ، محمد بن عبد المعين بن عون، لم تكن تتوانى في محاربة " أبي مسمار " في عسير ومحاولة إعادتها إلى حظيرة الدولة العثمانية ، وفعلاً تم لها ما كانت تسعى إليه حيث استطاعت أن تسيطر عليها عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م.

كــان الشــريف محمــد بن عبد المعين بن عون يتزعم الجيوش التركية التى استردت بلاد عسير من أيدي الحسن بن خالد الحازمى ، الذي خلف أحمد بن حمود أبي مسمار في حكم البلاد ، وهو الذي قبض على سلالة أسرة آل المتحمى وأرسلهم إلى مصر ليتم القضاء عليهم هناك ، واستمر حكمه لبلاد عسير مدة أربع سنــوات (١٢٣٤هـــ/١٨١٨م-١٢٣٨هـــ/١٨٢٢م) بعدها قام أحد رجال مغيد[١٤] ويدعــى سعيد بن مسلط المغيدى، فطرد جيوش الأتراك وقوات الشريف محمد بن عون وتمت سيطرته على بلاد عسير.

وامــتد نفوذ الأمير / سعيد بن مسلط المغيدي تجاه الشمال فوصل إلى بلاد غامد وزهران، لكنه لم يدم طويلاً في الإمارة ، فخلفه أحد أبناء أسرته ويدعى علي بن مجــثل المغيدي ، الذي عرف بنصرته للإسلام وخدمته له ، وقد استطاع أن يتصدى للشريف ابن عون والأتراك لفترة من الزمن[١٥] .

وفي عــام ١٢٤٩هـــ/١٨٣٤م توفي الأمير/ على بن مجثل بعد أن أوصى بعائض بن مرعى المغيدي ليكون أميراً لبلاد عسير من بعده[١٦] . لكن لم يكد عائض بن مرعي يتولى الإمارة ، حتى قام الشريف محمد بن عون والقائد التركي في الحجاز أحمد باشا بشن هجوم على الأجزاء الواقعة جنوبي بلاد غامد وزهران فسيطرا عليها

بعد أن كانت تحت نفوذ ابن مرعي المغيدي، وفي ظل هذه الظروف لم يستطع عائض بـــن مرعي رد هجومهما، لكنه عقد معهما اتفاقية في عام ١٢٤٩هـــ /١٨٣٤م ، تـــنص عـــلى أن تكـــون تنومة وبلاد بارق من أرض بني شهر هى الحدود الشمالية لإمارتـــه وبهذه الاتفاقية تكون الأجزاء الشمالية من بلاد بني شهر وجميع منطقة بني عمـــرو قـــد دخـــلت تحت حكم الشريف محمد بن عبد المعين بن عون وأحمد باشا التركى[١٧] ومن الواضح أن عائض بن مرعي لم يوافق على هذه الاتفاقية إلاّ لأسباب قـــد تكون داخلية ، ومن المحتمل أنه أراد توطيد أوضاعه الداخلية وتقوية جيوشه، ثم يعـــود لمحاربة الشريف ابن عون ، وهذا ما حدث بالفعل فلم ينصرم عام واحد بعد تـــلك الاتفاقية التى عقدها مع محمد بن عون وأحمد باشا ، إلاّ ونراه قد عاود الكّرة لمحاربـــة جيوش الشريف وأحمد باشا ، حتى استطاع طردهم من جميع المناطق الواقعة جنوبي بلاد غامد وزهران ، وفي عام ١٢٥٣هـــ /١٨٣٧م أرسل القائد التركى أحمد باشا جيشاً ليقابل جيوش ابن مرعى في بلاد غامد ، فدارت المعارك بين الطرفين حتى انتصـــرت الجيوش العثمانية على جيش عائض بن مرعي الذي قُتل وأسر منهم عدد كبير[١٨] .

استمرت أوضاع بلاد عسير وامتداداقما حتى حدود بلاد غامد وزهران تحت حكـــم الأمـــير عائض بن مرعى ، وعند وفاته عام ١٢٧٣هـــ/١٨٥٦م تولى إمارة البلاد من بعده ولده محمد بن عائض بن مرعى الذي عقد مصالحة مع شريف الحجاز عبد الله بن محمد ابن عبد المعين بن عون ، وافق فيها على التراجع عن السيطرة على بلاد غامد وزهران وأن يكتفى بحدوده الشمالية عند بلاد شمران[١٩]، ولكنه عاد مرة فعـــزز مـــن قواتـــه في حاضرة أبها، ثم ذهب لمحاربة الجيوش التركية نحو الجنوب ، واستطاع الوصول إلى الحديدة في اليمن والتي كادت تقع في قبضته ، ولكن الحكومة العـــثمانية في الآســـتانة أمرت جيوشها في الحجاز بالتوجه إلى أبها والسيطرة عليها،

وعندما سمع محمد بن عائض بالتجهيزات التي أعدها الحكومة العثمانية عاد مسرعاً إلى عاصمته أبها للدفاع عنها ووصلت في أثره الجيوش العثمانية عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م التي استطاعت الاستيلاء على أبها وتعقبت الأمير/ محمد بن عائض ومن كان معه حتى ألقت القبض عليه وتم قتله ووضع إقليم عسير تحت سيطرتها[٢٠] .

وهكذا دخلت بلاد عسير بعد القضاء على الأمير محمد بن عائض تحت الحكم العثماني، وصار يتولى أمرها منذ ذلك الحين والٍ تركي يقيم في حاضرة أبها وتتبعه ثمانية مراكز في أجزاء مختلفة من إقليم عسير[٢١] ، واستمرت البلاد العسيرية ترزح تحت الحكم العثماني ، الذي سعى إلى نشر الفوضى والسلب والنهب بين أفراد القبائل ، بل ساعد على نشر الجهل ومحاربة كل من يسعى إلى التصدي للسيطرة التركية ، سواء من أفراد القبائل ومشائخهم ، أو من الأمراء المحليين ، الذين كانوا يحاولون الحصول على الاستقلال والتخلص من السيطرة العثمانية وبقيت الأحوال في هذه البلاد على هذا الوضع حتى مجيء العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، حيث انسحبت الجيوش التركية من إقليم عسير، ومن أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى ، وتركت الحكم للأمراء المحليّن في البلاد[٢٢] .

وفي عصر سيطرة القوات العثمانية على إقليم عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/ ١٨٧٢-١٩١٨م) نجد الإمام الإدريسي الذي ظهر في صبيا بمنطقة جازان[٢٣] ، وكان يسعى إلى مد نفوذه إلى البلاد العسيرية السروية والتهامية الممتدة من رجال ألمع جنوباً حتى بلاد غامد وزهران شمالاً ، وكل ذلك كان في الأعوام التى كان يتولى فيها الولاية في إقليم عسير الوالي التركى سليمان شفيق باشا (١٣٢٦-١٣٣١هـ/ ١٩٠٨-١٩١٢م) ، وقد نجح الإدريسي في اقتطاع أجزاء من منطقة عسير ، بل وصل به الطموح إلى أن يقضي على الأتراك في عسير ويسيطر على عاصمة ولايتهم في مدينة أبها فذهب إلى حاضرة أبها وحاصرها عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) لكنه لم

يستطع إسقاطها لشدة مقاومتها، وكذلك لإرسال المؤن إليها من قبل الشريف حسين بـــن عـــلي في الحجاز[٢٤] ، وعندئذ رجع الإمام الإدريسي إلى مسقط رأسه في صبيا بمـــنطقة جازان ، وبقى هناك حتى دخلت منطقة عسير تحت سيطرة الدولة السعودية الحاليـــة عـــام(١٣٣٨هـــ/١٩١٩م)،ومنذ ذلك الحين وإقليم عسير جزء من أجزاء المملكة العربية السعودية،ولازالت مدينة أبها هى حاضرة منطقة عسير[٢٥] .

د ـ التعريف بهؤلاء الرحالة ، وأعمالهم ، وظروف مجيئهم إلى عسير :

إن هـــؤلاء الـــرحالة الثلاثة : تاميزيه ، وكورنواليس ، وفيليبي ، هم الذين سيدور حديثنا عنهم ، وعن أعمالهم ، وخاصة مادونوه لنا عن إقليم عسير ، وقبل أن نســـتعرض كتبهم التى وصلت إلينا عن منطقة عسير ، فإنه من الأجدر التعرف على شخصياهم ، وخلفياهم التاريخية ، إلى جانب أعمالهم والظروف التى أدت إلى مجيئهم إلى إقليم عسير .

ويجب أن نعرف أن شبه الجزيرة العربية ، وخاصة إقليم عسير ، ظل مجهولاً، وغير معروف ، من لدن الأوربيين ، إلى أن قام حاكم مصر محمد علي باشا بمد نفوذه إلى الجزيرة العربيةفي الفترة الممتدة(١٢٢٦هـــ-١٢٥٦هـــ/١٨١١-١٨٤٠هـــ)، حيث كرس جهوده في إرسال العديد من الحملات إلى شبه الجزيرة العربية ، وكانت منطقة عسير ، من المناطق المستهدفة في تلك الحملات[٢٦] . وقد كانت فرصة ذهبية لـــبعض الأوربيين أن يسيروا مع تلك الحملات، ومن ثم أكتشفوا ودونوا – أو دون بعضهم – ملاحظاهم خلال رحلاهم مع تلك الحملات الغازية للجزيرة العربية[٢٧] ، ومن هؤلاء الرحالة :-

أولاً : موريس تاميزيه : (M.Tamizia)

إن موريس تاميزيه أول أولئك الأوربيين الذين رافقوا حملة محمد علي باشا على عسير عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م[٢٨] ، ثم دون يومياته بشكل تفصيلي عن تلك الحملة بصفته كاتباً للبعثة الطبية التي كانت ترافق الحملة[٢٩] .

وإذا كان تاميزيه قد جاء في خدمة الطب مع حملة محمد علي باشا العسكرية على عسير، فإننا لانملك تفصيلات عن حياته الأولى في موطنه الأصلي وأول من ذكره لنا كقراء عرب البروفيسورة جاكلين بيرين ، ابنة بلده ، وصاحبة المؤلف المهم عن الرحالة الأوربيين الذين زاروا الجزيرة العربية[٣٠] .

ومن خلال المادة العلمية المدونة في كتاب موريس تاميزيه نجده يجيب على سؤال وجهه له أحد أعيان منطقة عسير حول عمره ، فذكر له أنه يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة ، وذلك في عام ١٨٣٤هـ، وبذلك نستنتج أن تاريخ ولادته كان في عام ١٨١٢هـ. ومن الواضح أن موريس كان عنده إلمام إلى درجة ما باللغة العربية،وذلك يظهر واضحاً في حوارته مع بعض رجال منطقة عسير وأعيانها .

أما الأعمال الفكرية لهذا الشاب الفرنسي ، فيتضح لنا أنه زار الجزيرة العربية عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) وزار الحبشة في عام (١٢٥١هـ/١٨٣٦م) ، وكتب عن رحلاته في هذين البلدين، ونشرت أعماله في باريس عن هذه الرحلات، ومع أهمية أعماله العلمية، إلاّ أنه ظل من الرحالة المجهولين ، ولم يحظ بالشهرة التى حظى بها أقرانه من رجالات عصره[٣١]، ربما بسبب حداثة سنه ، أو ربما لأسباب أخرى لانعرفها[٣٢] .

ثانياً : السيركيناهان كورنواليس : (Sir Kinahan Cornwallis)

أما السير كيناهان كورنواليس الذي دون كتاب: "عسير قبل الحرب العالمية الأولى" ، فلقد حاولت جاهداً معرفة شيء ما عن حياته والأسباب التى جاءت به

إلى الجزيرة العربية، فلم أستطع العثورعلى مايفيد، وبمطالعتنا لدوائر المعارف، وقوائم المؤلفين والكتب المتنوعة لم نجد أي شيء يقترن بهذا الرحالة سوى هذا الكتاب الذي كـــان في الأســـاس تقريراً، سمح بطبعه في فترة لاحقة. وهو نفس ما حدث لتقرير هوجـــارث (Hogorth) عن بلاد الحجاز، الذي طبع أيضاً في هيئة كتاب أصبح متداولاً بين القراء والباحثين(٣٣) .

وعـــلى أن كتاب كورنواليس (Cornwallis) من الكتب الأساسية المعتمد عليها في هذه الدراسة ، فإن سبب خروجه في هيئة تقرير يعود إلى اهتمامات انجلترا بالشرق، حيث إن كورنواليس كان واحداً من رجالات المخابرات البريطانية، وقد أرسلته حكومته إلى منطقة عسير لدراستها من جميع الجوانب ، وبالفعل جاء إلى المنطقة وتجول في أرجائها ثم دون هذا التقرير، ورفعه إلى المكتب العربي بالقاهـــــرة (Arab Bureau)(٣٤) .

ثالثاً : سانت جون فيلبي (H.St. J. Philby)

أمـــا رحالتنا الثالث في هذه الدراسة فهو : هادى سانت جون بريجر فيلبي (H.St.J.B.Philby) ، إنجـــليزا الجنســـية ويدعى اختصاراً جاك أو (عبد الله فيلبي) والمولود في انجلترا عام ١٨٨٥م ، والمتوفى عام ١٩٦٠م ، فهو من معاصري أحـــداث القـــرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، والتاسع عشر والعشرين الميلاديـــين. انخرط بداية حياته في وظائف عدة بالحكومة البريطانية ، ثم قدم إلى شبه الجزيـــرة العربية في اليوم السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩١٧م، حيث ذهب من البصرة إلى الأحساء ومنها اتجه إلى الرياض ، حيث اجتمع لأول مرة بالملك عبد العزيـــز بـــن عـــبد الرحمن آل سعود ، وقد فصل ذلك في كتابه (أيام بلاد العرب Arabian Days)، الذي قام بتلخيصه الأستاذ/ خيري حماد في كتابه (عبدالله

فيـــلبي قطعـــة من تاريخ العرب الحديث) ثم نشر في بيروت عــــام (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) .

ويختلف فيلبي عن موريس تاميزيه ، والسير كيناهاان كورنواليس ، بل يختلف أيضاً عن جميع الرحالة الذين قدموا إلى الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر، وذلك لغزارة مؤلفاته عن شبه الجزيرة العربية ، بل نستطيع القول بأنه امتاز بالريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية خاصة والجزيرة العربية عامة ، وقد ذكر عنه الشيخ حمد الجاسر قوله :

" الحقيقـــة التي يجب أن تقال هي أن فيلبي أسدى للجزيرة العربية يداً قصر عن مدها إليها من سواه "[٣٥] .أيضاً ذكر جورج رنتز (George Rentz) في حديثه عن فيلبي "أنه أكثر الغربيين إنتاجاً عن تاريخ هذه البلاد[٣٦] " ويقصد بالبلاد ، الممـــلكة العربية السعودية ، منوهاً في ذلك إلى أن السبب في تلك الغزارة يرجع إلى حصول فيلبي على مؤهلات الكتابة التاريخية عن هذه البلاد ومن أهمها معرفته التامة بجميع نواحيها ، فقد عاش في شبه الجزيرة العربية متنقلاً بين ربوعها أكثر من أربعين عامــاً ، أي منذ أن وطئت قدماه أراضيها لأول مرة عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م إلى وفاته عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م[٣٧] .

وإذا كـــان (عـــبد الله فيلبي) قد بدأ حياته العملية في خدمة الامبراطورية الـــبريطانية كالكـــثير من أبناء جلدته ، إلاّ أنه بعد أن جاء إلى شبه الجزيرة العربية ، والـــتقى بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ثم اعتناقه الإسلام صار عندئذ حمـــيم العلاقـــة مع الملك عبد العزيز وبالتالي أصبح من المقربين لدى الملك حتى إنه أرســـله في العديـــد من المهام الخاصة بالدولة داخل البلاد وخارجها ، وذكر فيلبي الكثير من تلك المهام في مذكراته وكتبه ومقالته العديدة[٣٨] .

وقــد ترك لنا المؤرخ والرحالة فيلبي العديد من المؤلفات والمقالات المتنوعة في عناويـــنها وأطروحاها ، وجميعها دونت باللغة الرئيسة التي يتكلمها فيلبي ، وهي اللغة الانجليزية ، وبعضها قد ترجم إلى اللغة العربية ، ومن تلك المؤلفات :

١ - كتاب" الجزيرة العربية"وقد نشرته دار (ارنست لتد) في سنة (١٩٣٠م).

٢ - كتاب " العربية السعودية " طبع في لندن سنة (١٩٥٥م).

٣ - كتاب " العربية الوهابية " طبع في لندن سنة (١٩٢٨م) .

٤ - كتاب " قلب الجزيرة العربية " طبع في نيويورك سنة (١٩٢٣م).

٥ - كتاب " الربع الخالي " طبع في لندن سنة (١٩٣٣م).

٦ - كتاب " ملكة سبأ " طبع في لندن سنة (١٩٨١م) .

٧ - كتاب " تاريخ الحجاز المعاصر " طبع في لندن سنة (١٩٢٥م).

٨ - كتاب " أرض مدين " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٥م).

٩ - كتاب " ثلاثة نقوش في حضرموت " طبع في لندن سنة (١٩٤٥م).

١٠- كتاب " النقوش في نجران " طبع في لندن سنة (١٩٤٤م).

١١- كتاب " صفقات الزيت العربي " طبع في واشنطن سنة (١٩٦٤م).

١٢- كتاب " أيام عربية " طبع في لندن سنة (١٩٤٨م).

١٣- كتاب " أربعون عاماً في القفر " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٧م).

١٤ - كتاب "الذكرى العربية " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٢م).

١٥ - كتاب "النجود العربية " طبع في نيويورك سنة (١٩٧٦م) .

وهــناك كــتب ومقالات أخرى عديدة لم نشر إليها ، والغالب على معظم الدراســات الــتي دونها فيلبي تميزها بوفرة المعلومات الجديدة في محتوياها وطريقة تدوينها ، كما أن المشاهدة وتنوع الخبرة عند هذا الرحالة جعلته يصبغ كتبه وأبحاثه بصــبغة يسودها العمق في التحليل والتدوين حتى إننا نجده أحياناً يخوض في جزئيات

وتفاصيل دقيقة لا تتأتى إلاّ لمن كان كثير الرحلة والتجوال ، وكان شاهد عيان لتلك التفاصيل ، ورغم أن جميع أبحاثه وموضوعاته تدور حول الجزيرة العربية ، فإنها تميزت – كما سبق القول – بالتنوع[٣٩] ، ولذا سوف نقتصر في هذه الدراسة على عرض المؤلف الخامس عشر من مؤلفاته، الآنفة الذكر ، والموسوم بـــ " النجود العربيـــة " [Arabian Highlands] لأنه ركز في جزء جيد من هذا الكتاب على إقليم عســـير ، الـــذي هو موضوع دراستنا ، وهذا الكتاب هو أحد الكتب التي سوف نناقشـــها فيما بعد مع كتابي تاميزيه وكورنواليس ، ونقدم عنها في الصفحات التالية دراسة تحليلية نقدية .

هـ ـ **دراسة نقدية تحليلية مقارنة لكتب الرحالة الثلاثة :ـ**

أولاً : الدراسة التحليلية

أ ـ الكتاب الأول :

رحـــلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـــ/١٨٣٤م) لــــلرحالة موريس تاميزيه الفرنسي . هذا الكتاب طبع لأول مرة باللغة الفرنسية في باريس عام (١٨٤٠هـــ) ، وكان يقع في مجلدين في سبعمائة وثلاث وتسعين صفحة تحت عنوان : (Voyage en Arabie) (رحلة في الجزيرة العربية) ، يتكون الجـــزء الأول الـــذي يحمـــل عنوان التوقف في الحجاز (Sejour Dans Le Hedjaz) مـــن (٣٩١) صفحة[٤٠] ، أما الجزء الثاني وهو بعنوان : الحملة على عسير (Campagne D'Assir) فيتكون من (٤٠٢) صفحة ، وهو الكتاب المعـــني في هـــذه الدراسة ، وقد أعيد طباعته في فينا في عام (١٩٧٦م) ، وجاء في طبعته الجديدة – وهي مصورة من الطبعة الأولى – في مجلد واحد، أي طبع المجلدان في مجلد واحد من القطع الصغير[٤١] .

والجزء الثاني من كتاب تاميزيه، هو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث، وقد تولى ترجمته إلى اللغة العربية الدكتور/ محمد بن عبد الله آل زلفة الأستاذ

المشـــارك في الـــتاريخ الحديث بجامعة الملك سعود ، وهذه النسخة المترجمة هي التي اعـــتمدنا عليها في دراستنا ، فالكتاب في متنه الرئيسي ، والمقدمات وقائمة المصادر والمراجع التي أوردها المترجم يقع في (٣٥٨) صفحة من القطع المتوسط ، واشتملت العشـــرون صـــفحة الأولى من الكتاب على توطئة ومقدمة للمترجم أريد بها إعطاء فكـــرة عن الخلفية التاريخية للأحداث التي وقعت في عصر معلومات الكتاب ، كما احتوت أيضاً على نبذة مختصرة عن مؤلف الكتاب وعن المترجم والظروف التي قابلته مـــنذ بـــدأ في ترجمته إلى أن نشره باللغة العربية في مدينة الرياض عام(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) . ثم أخـــرج مـــتن الكـــتاب في ستة عشر فصلاً ، وذيله بقائمة تضمنت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إخراج هذه الترجمة . ويبدو أن الجزء الثاني في لغـــته الأصلية يقع في خمسة عشر فصلاً، لكن المترجم أضاف له فصلاً آخر من نهاية الجـــزء الأول ، الذي يخص إقليم الحجاز، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته مع إيضاح الأسباب التي دفعته إلى ذلك ، فقال : ((**والكتاب في طبعته الأولـى ينقسم إلى عدد مـن الفصـول، يشتمل الجزء الثاني الذي بين يدي القارئ على خمسة عشر فصلاً ، أضـفت إلى فصـول هـذا الجزء الفصل الأخير من فصول المجلد الأول حيث إنه يشكل بدايـة طـبيعية لهـذا الكـتاب إذ تحـدث فيـه المؤلف عن أسباب المواجهات بين إمارة عسـير ومحمـد عـلي باشـا ، كمـا تحدث عن الخلفيات التاريخية والجغرافية لمنطقة عسـير وإمـارة أبـو عـريش ، ولهذا أصبح ذلك الفصل يشكل الفصل الأول من كتابنا هذا وأعيد تـرتيب بقية الفصول على هذا الأساس ، حيث أصبحت فصول هذا الكتاب في تـرجمته العربية ستة عشر فصلاً**))[٤٢] .

وفي بقيـــة الفصـــول المدونة في الكتاب ، أي من الفصل الثاني إلى الفصل السادس عشر، نجد موريس تاميزيه يدون الأحداث السياسية والحضارية التي زامنت حمـــلة محمد علي باشا على عسير ، والتي انطلقت من مدينة جدة حتى الطائف ، ثم ســـلكت الطـــريق التجارية المعروفة في كتب التراث والتي تخترق السفوح الشرقية لجـــبال السراة ، مارة بالمحطات الرئيسة مثل تربة ، ورنية ، وبيشة[٤٣] حتى وصلت

وادي شـــهران ، واستولت على مدينة خميس مشيط[٤٤] ، ثم تحركت إلى أن وصلت مدينة أبها، حاضرة إقليم عسير[٤٥]. والحقيقة أن الرحالة تاميزيه يعد أفضل من دون معلومات دقيقة عن إقليم عسير خلال تلك الحقبة التي رافق فيها جيوش محمد علي باشـــا إلى عســـير ، حيث أورد تفصيلات كثيرة عن طبيعة البلاد العسيرية وسكانها والقرى والقبائل التي مرت بها الحملة[٤٦] ، إضافة إلى ما أورده من الظروف السياسية والاجتماعية والأثرية والاقتصادية والعسكرية التي صاحبت الحملة منذ بداية انطلاقها مـــن الطـــائف حتى وصولها إلى أبها ، ثم نهايتها التي تمت بتوقيع إعلان هزيمة قائدي الحملة أحمد باشا والشريف محمد بن عون مع أمير منطقة عسير عائض بن مرعي[٤٧]، وقد تم أيضاً توقيع وثيقة اعتراف من قادة الحملة أكدت على استقلال إقليم عسير، وذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبـــر عـــــام (١٨٣٤م).

ومما يزيد من أهمية كتاب تاميزيه ما يسده من نقص في معرفتنا التاريخية عن بعض الشخصيات البارزة في المنطقة وأدوارها ما كنا نعرف عنهم إلاّ النـــزر القليل قبل هذا الكتاب مثل التعريف بالأمير دوسري أبي نقطة، وسلطان بن عبده شيخ بني مالك عسير وعلى الصعيري شيخ بني سلول من بيشة ،ورفيدي أحد شيوخ بللسمر الـــذي لم نكن نعرف له ذكراً من قبل ، وإلقاء مزيد من التفاصيل على مكانة الشيخ مشـــيط شـــيخ شهران ودوره البارز في تاريخ عسير. ناهيك عما أورده عن الأمير عـــايض بـــن مرعي أمير عسير الذي تولى الإمارة عشية الإعداد لهذه الحملة ودوره الـــبطولي والقيـــادي في الدفاع عن بلاده ومحاولة تجنيبها الصراع والحرب مع قوات محمـــد علي ، وذلك من خلال مشروعاته المختلفة والمتكررة لطلب الصلح مع قادة الحملة وإصراره على رفض أي صلح لايضمن لعسير استقلالها ووحدة ترابها[٤٨] .

هـــذا إلى جانب ما تعرض له هذا الكتاب أيضاً من صراع خفي بين قائدي الحملة أحمد باشا ومحمد بن عون وما يهدف كل منهما إليه من تحقيق أهداف سياسية على حساب الآخر، وأثر ذلك على مسار الحملة.

إن هذا الكتاب يكشف لنا جسامة معاناة أهلنا في عسير وضخامة ما تحمّلوه من أرزاء ومحن وتشريد وتقتيل ، وتدمير للقرى وإحراق للمزارع ، وقتل للأسرى ، ومع ذلك ظلوا صامدين طالما في صمودهم ضمانة لاستقلال بلادهم.

ولم يغفل المؤلف ما عاناه شباب مصر الذين غرر بهم محمد علي بل أخذهم قســـراً من أحضان أمهاتهم ليسوقهم إلى قدرهم المجهول في متاهات الجزيرة العربية، وقـــد زودنـــا المؤلف بوصف مؤلم لما قاسوه من لوعة الغربة ومشقة السفر وهلع من مواجهـــة الأعـــداء حيـــث لم يكـــن أحـــد مـــنهم يؤمـــن بالقضية التي زُج به في مواجهتهـــــــا[٤٩].

كما زودنا بمعلومات عن فرق جنود المغاربة التي كانت تُجند كجنود مرتزقة في جيش الباشا ، ذهبوا إلى تلك الحرب تحت وطأة الديون ورغبة في تسديدها لمرابي تجار القاهرة، فنراهم يندفعون في سبيل الحصول على المغانم - لمواجهة الموت بشكل تدميـــري عنيف وبنفوس لا تعرف الرحمة ولا تقيم للمعايير الإنسانية أي حساب ؛ لأنها هي واقعة تحت نير الظلم والاضطهاد وطائلة الديون التي يتوجب عليهم سدادها بـــأي ثمـــن ، يدفـــع ثمنها روحه ، ويُزهق من أجلها روح من يقابله دونما شفقة أو رحمـــــة[٥٠].

وقد أشار المؤلف بأنه اعتمد في استقاء معلوماته على الحوار المباشر بينه وبين الأشخاص الذين التقى بهم وحاورهم فيما كان ينوي عمله أو محاولة معرفته لأمر من الأمـــور ســـواء كان ذلك الأمر يتعلق بتاريخ حادثة أو علاقة فئة بأخرى أو علاقة

الإنســـان بالمكان أو معرفة ظاهرة معينة جغرافية أو نباتية أو اجتماعية . وذكر أن هذه هي الطريقة المثلى لمن هو في مثل حالته غريب في ديار غريبة بالنسبة له(٥١) .

هــذا بالإضـــافة إلى أنه كان لصيق الصلة ببعض كبار القوم والمشاركين في الحملة والعارفين بالظروف السياسية والاجتماعية والتاريخية لهذه البلاد ، مثل الأمير دوســري أبي نقطة ، والشيخ علي الصعيري شيخ بني سلول من بيشة وغيرهم من قـــادة وضباط وأطباء الحملة . فكان يستقي المعلومات السياسية المتعلقة بالحملة من المصادر الأولية – أي المشاركين في صنعها – هذا بالإضافة إلى شدة ودقة ملاحظته ، ومتابعة تطورات الأحداث وتدوينها أولاً بأول(٥٢) .

ب- الكتاب الثاني :

عسير قبل الحرب العالمية الأولى **Asir before World War I**) (للســير كيـــناهان كورنواليس . وهذا الكتاب عبارة عن تقرير دونه كورنواليس الـــذي كـــان ضابطاً في الاستخبارات البريطانية ، وقد طبع باللغة الانجليزية في هيئة كـــتيب صغير الحجم يقع في (١٥٥) صفحة ، وتم نشره في مدينة كمبردج ببريطانيا عـــام (١٩٧٦م) . وهـــذا الكتاب على صغر حجمه يحتوي على سبعة عشر فصلاً قصيراً شملت معلومات سياسية وحضارية جيدة عن منطقة عسير قبل الحرب العالمية الأولى . وهذه الفصول متنوعة في مادتها العلمية، فقد تصدر الكتاب خريطة توضح مواطـــن العشائر والقبائل في منطقة عسير أثناء مجيء كورنواليس إليها ، وأما الفصل الأول فـــتحت عـــنوان : المـــنطقة (**Area**) ويقع في صفحة واحدة تحدث فيها كورنواليـــس عن حدود إقليم عسير الذي ذكر أنه يمتد من غامد وزهران شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً موضحاً أجزاء عديدة في السهول الساحلية والسروية من تلك المـــنطقة(٥٣) ، والفصـــل الـــثاني جاء تحت عنوان التضاريس **(Relief)** وأشار فيه كورنواليس إلى طبيعة تضاريس منطقة عسير موضحاً بعض التفاصيل لجبال السروات

الممتدة من الجنوب إلى الشمال مع التنويه إلى المنحدرات منها تجاه الشرق والغرب . وفي الفصل الثالث وعنوانه : الخصائص الطبيعية والمناخ (Physical Character and Climate) . أشار إلى مواسم سقوط الأمطار وإلى أنواع الرياح التي تهب على منطقة عسير ، كما اهتم بذكر مواطن الخصوبة والجدب في المنطقة ، ويلاحظ من حديثه عن الخصائص الطبيعية والمناخ أنه قد أطلع على كتاب تاميزه لأنه استشهد به أكثر من مرة فيقول عن خصوبة وادي شهران نقلاً عن تاميزيه " **إنه الجوهرة التي يطمع فيها كل الغزاة** "(٥٤) ، **كما يذكر عن تاميزيه أيضاً " أنه من واقع تجربته عن قصف الرعد الشديد والأمطار التي تهطل في المنطقة المجاورة لخميس مشيط بشهر يوليو ، فمناخ تهامة الذي يتعرض لرياح جنوبية غربية شديدة هو حار تماماً مثل منطقة الحجاز ولكن من ناحية الماء فهو أكثر وفرة وغزارة ومن نوع أحسن ، كما أن داخل المنطقة هو أبرد عموماً من الحجاز ، وأما بالنسبة للعقبة والهضاب بصفتها أفضل وأحسن من مثيلاتها في الحجاز فإن مناخها معتدل ولكن المنحدرات الداخلية لسلسلة الجبال والتي لها امتداد شمال شرقي فإن فصل الشتاء فيها شديد نسبياً مع ظهور صقيع ليلاً بشكل عادي**"(٥٥) . أما الفصل الرابع فيناقش فيه عنصر السكان (Population)، حيث يذكر مركز القوة والثقل السكاني في إقليم عسير فيشير إلى أن المنطقة الجبلية الممتدة من زهران وغامد شمالاً حتى شهران وقحطان جنوباً تعد أكثر البلاد سكاناً وأقواهم عدداً وعدة، كما أنه نوه إلى مصادر الرزق لهؤلاء السكان فكانت الزراعة بالدرجة الأولى إلى جانب الرعي والتجارة ، كما ذكر أن غالبية السكان كانوا يتبعون المذهب الشافعي، في حين أن هناك من كان على المذهب الحنبلي اقتداءاً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٥٦) . أما الفصل الخامس فخصصه للحديث عن بعض الأدوات والصناعات المنزلية التي كان يحترفها أهل المنطقة ويستنتجون موادها الأولية من الطبيعة ، وتلك الصناعات متنوعة مثل : الصناعات الحجرية والفخارية ، والصناعات الخشبية ،

والصـــناعات الحديديـــة ، والصناعات الجلدية وغيرها[٥٧] . وفي الفصلين السادس والســـابع يـــتحدث كورنواليـــس عن الزراعة والثروة الحيوانية ويذكر توفر هذين المصـــدرين في منطقة عسير وخاصة في المناطق الجبلية الممتدة من زهران إلى قحطان، ولا تخـــلو الأجـــزاء الشـــرقية والغربية لجبال السروات من مواطن زراعية وأماكن رعويـــــة[٥٨] . وفي الفصل الثامن يدون لنا كورنواليس معلومات قيمة عن النشاط التجاري في إقليم عسير، فيذكر نشاط الواردات إلى عسير عن طريق البر والبحر ، كما يشير إلى حركة التصدير من منطقة عسير إلى خارجها ، ولم يغفل عن ذكر أهم المراكز التجارية الداخلية في المنطقة ، وشهرة أسواقهم الأسبوعية[٥٩] . وفي الفصول التاســـع والعاشر والحادي عشر يستكمل كورنواليس تقريره بالحديث عن العملات المســـتخدمة في مـــنطقة عسير أثناء مجيئه إليها، فذكر أنهم كانوا يتعاملون بالقروش الـــتركية ، والـــريال الفرانسي ، وجنيه الذهب الإنجليزي ، إلى جانب التعامل أيضاً بالمقايضـــة[٦٠] . كما ناقش الأوزان والمقاييس المستخدمة آنذاك فذكر من الأوزان والمكـــاييل الأقة والمد والصاع ، والكيلة ، أما المقاييس فذكر الركيب والفلج [٦١]، كما قدم لنا معلومات هامة عن الضرائب التي كانت تجبى على التجار سواء من البر أو البحر ، فأما من جهة البحر فكانت بعض السلع تدخل إلى عسير عن طريق منطقة جـــازان التي كان أغلبها تحت سيطرة الإدريسي الذي كان له ضباط جمارك في جميع المـــوانىء لجـــباية الضـــرائب ، وقـــد وضـــح كورنواليس النسب التي كان يجبيها الإدريســــــي[٦٢] ، وكذلـــك منطقة القنفذة وما حولها كانت تحت النفوذ التركي ، والأتـــراك بدورهم يجبون ضرائبهم على التجار الذين يأتون من تلك النواحي[٦٣] . أمـــا إقلـــيم عسير الممتد من زهران إلى قحطان فكانت عبارة عن منطقة مستقلة في عصر كورنواليس ، وكان سكان هذه البلاد يدفعون الضرائب لشيوخهم ورؤسائهم، فهـــم يسوسونهم ويحمونهم[٦٤] ، وفي الفصل الثاني عشر الذي وضع له كورنواليس

عـــنواناً أسماه : التاريخ المعاصر والسياسة الحاضرة (Recent History and Present Politics) أشار فيه إلى أن إقليم عسير في عصره لم يكن وحدة واحدة وإنما كان ينقسم من الناحية السياسية إلى أربعة أقسام هي :

١ - النواحي المستقلة متمثلة في بعض العشائر والقبائل البدوية التي تعتمد على الترحال من مكان لآخر بحثاً عن الماء والكلأ لرعي مواشيها ، وهذه العشائر توجد في أجزاء عديدة من جبال السروات الممتدة من غامد وزهران شمالاً إلى قحطان جنوباً(٦٥) .

٢ - الأجزاء الشمالية من منطقة عسير ، مثل بلاد زهران وغامد ورجال الحجر (بنو عمرو ، وبنو شهر ، وبللسمر وبللحمر) وشهران ، وخاصة المراكز الحضارية فيها، كانت تتبع شريف مكة، أثناء الفترة التي دون عنها كورنواليس تقريره(٦٦) .

٣ - أما الأتراك فلم ينجحوا في إخضاع منطقة عسير ، وإنما كان لهم فقط سلطة مزعومة في ميناء القنفذة والمدن الداخلية مثل :- بارق ومحائل وأبها مع منطقة صغيرة تحيط بكل منها،ونفوذ متقطع على الطرق الواصلة بينها(٦٧) .

٤ - أما بقية إقليم عسير ، وخاصة الأجزاء الغربية من السروات ، والسهول التهامية الممتدة من صبيا وبيش جنوباً إلى محائل وبارق فكانت تحت سيطرة السيد الإدريسي الذي كان مقره في مدينة صبيا من منطقة جازان(٦٨) .

وفي الفصل الثالث عشر المدون تحت عنوان : التنظيم العسكري ومـــوارده (Recent of Organization and Recources)يتحدث كورنواليس عن الإمكانات العسكرية عند كل من الأتراك والإدريسي ، فقد عَدَّد الفرق والقوات العسكرية التركية التي كانت تتمركز في مناطق مختلفة بين القنفذة وأبها ، كما أوضح سعى الأتراك للحصول على دعم

بعض القبائل المجاورة أو القريبة منهـــم[٦٩] . أما الإدريسي فيذكر المؤلف أن جيشه كان يتألف من خمسمائة مقاتل سوداني تم تجنيدهم من القرى الواقعة حول عاصمته صبيا ويستخدمون شرطةً أو حرساً خاصاً للإدريسي في الأوقات العادية، أما في الحرب فكان يعتمد على رجال القبائل الموالية له، وغالبيتها في الأجزاء التهامية والسفوح الغربية لجبال السراة الواقعة بين صبيا جنوباً ومحائل شمالاً[٧٠] .

أما الفصل الرابع عشر ، فقد خصصه كورنواليس لحصر القبائل والعشائر التي تعيش في منطقة عسير أثناء ذهابه إليها قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد قسم هذا الفصل إلى جزئين ، الجزء الأول سماه (قبائل السهل الساحلي) من الليث شمالاً إلى صبيا وجازان جنوباً[٧١] . والجزء الثاني ، ذكره تحت اسم " قبائل عسير الداخلية الممتدة من زهران شمالاً إلى بلاد قحطان وظهران جنوباً[٧٢] ، والميزة التي انفرد بها كورنواليس في هذا الفصل أنه أورد معلومات قيمة عن موقع كل قبيلة في تلك الأجزاء التي أشار إليها ، كما أشار إلى المهن والحرف المختلفة التي كان يمتهنها سكان كل قبيلة وتوزع ولاء القبائل بين القوى السياسية الموجودة آنذاك ، وهي الأتراك ، وشريف مكة ، والإدريسي ، أيضاً أورد أسماء شيوخ بعض القبائل ، وكذلك عدد سكان أغلب القبائل التي دونها في تقريره، مع العلم أن معلوماته عن أعداد السكان غير دقيقة لأنه اعتمد في جمع معلوماته على رواة محليين ، وهذا مما يجعل الأخطاء واردة في ذكر أرقام تخص تعداد السكان وذلك لجهل بعض الرواة أو تعصب بعضهم لعشيرته ، فقد يذكر أحياناً أرقاماً خيالية حتى يظهر عشيرته بمظهر القوة والبأس ، وأحياناً يذكر أرقاماً قليلة حتى لاتظهر قبيلة الراوي كبيرة في عيون الآخرين وخاصة الأعداء ، فبالتالي يحسدونها أو يعدون لها العدة في أيام الحروب والغزو[٧٣] . كما دون كورنواليس معلومات أخرى قيمة تتعلق أحياناً بالأوضاع الاقتصادية أو

الاجتماعية لكل قبيلة فنجده أحياناً يشير إلى أنواع مصادر الرزق عند القبيلة ، أو إلى بعض العادات والأعراف والتقاليد المتنوعة مثل عادات الأعياد والمآتم والزواج، وكذلك عادات الطعام والشراب واللباس والزينة . أيضاً أشار أحياناً إلى بعض المراكز الحضارية في تلك القبائل مثل : القنفذة ، ومحائل ، وصبيا ، وخميس مشيط ، وبيشة ، وأبها ، والنماص وغيرها، فذكر بعض الميزات التي كانت تتميز بها تلك المراكز ، وأهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة عسير(٧٤) .

أما الفصل الخامس عشر ودونه كورنواليس تحت عنوان : الشخصيـــــات (Personalties) ، ويُعد هذا الفصل من أنفس الفصول في كتاب كورنواليس، فقد حصر فيه أكثر من مائة وثلاثين شخصية في إقليم عسير ومعظمهم شيوخ وأعيان قبائل إقليم عسير في عصره ، وقد امتازت معلومات هذا الرحالة أنه ذكر الاسم لكل شخصية ترجم لها، وذكر المكانة الاجتماعية لتلك الشخصيات المترجم لها ، مع إيراد الصفات الشخصية والخلقية أحياناً لبعض الشخصيات الواردة في هذا الفصل، وأحياناً يذكر شخصيات لها ثقل ووزن في صنع السياسة بمنطقة عسير مع الإشارة إلى علاقاتهم مع القوى السياسية داخل منطقة عسير وخارجها ومن أهم تلك الشخصيات بعض شيوخ القبائل والأمراء في إقليم عسير مثل : أسرة آل عائض في أبها ، وآل مشيط في بلاد شهران ، وابن دليم في بلاد قحطان وغيرهم كثير(٧٥) .

وأما الفصلان السادس عشر والسابع عشر فقد خصصهما للحديث عن الطرق والمواصلات ، وذكر كورنواليس في مقدمة الفصل السادس عشر وعنوانه : الطرق والمواصلات(Roads and Communication) أنه :- " **لايوجد طرق معبدة في عسير، وهذه الطرق تسلك دائماً الخط الأقل مقاومة والأسهل عبر البلاد الجبلية وكثيراً ما تكون قريبة من مصادر المياه، وما عدا طريق أبها ـ بيشة التي اجتازها الرحالة تاميزيه في عام (١٨٣٤م) ، فلم يتعرض أي أوربي لوصف تلك البلاد وإعطاء أهمية للطرق المشروحة بالتفصيل في هذا الكتاب** "(٧٦) . وقد أشار

الرحالة إلى انعدام الأمن في طرق عسير والتي أعطانا قائمة بأسمائها ، فذكر عدد خمسة عشر طريقاً هي :

١ - أبها - الدرب
٢ - أبها - صبيا
٣ - أبها - ظهران (طريق السلطان)
٤ - أبها - بيشة
٥ - أبها - الطائف (طريق السلطان)
٦- أبها - محائل (عبر وادي تيه) .
٧ - أبها - محائل (عبر الشعبين)
٨ - أبها - الوهلة .
٩ - محائل - تنومة
١٠- محائل-القنفذة(عبربارق) .
١١- محائل - القنفذة .
١٢- محائل-نقطة حلي
١٣- محائل - البرك .
١٤- الليث - وادي العين
١٥- تنومة - سوق العجمة .

وقد أجاد كورنواليس في حفظ هذه المعلومات لنا عن الطرق البرية الداخلية في منطقة عسير ، مع العلم أنه لم يكتف بتعدادها كما دوناها أعلاه، وإنما ذكر معظم المحطات الواقعة بين مكان وآخر على طول تلك الطرق، مع الإشارة إلى بعض التفصيلات الاجتماعية والاقتصادية الجيدة ، كذكره لطبقات السكان في بعض المواقع أو أحوال الزراعة أو التجارة، أو السلبيات أو الإيجابيات لكثير من المحطات التي تقع على طول تلك الطرق التي أورد ذكرها[٧٧] .

جـ- الكتاب الثالث :

وعنوانه " **النجود العربية** " **(Arabian Highlands)** لمؤلفه سانت جون بريجر فيليبي أو " عبد الله فيليب"كما عُرف بالمنطقة العربية ، وقد طبع الكتاب باللغة الإنجليزية بمطبعة جامعة كورنل أثاكا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦م . ويقع في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط، وقامت على نشره جمعية الشرق الأوسط في واشنطن،دي.سي**(Washington, D.C.)** .

وقد اعتمدنا على هذه الطبعة في الدراسة التي بين أيدينا ، علماً بأن هناك طبعة سابقة على هذه الطبعة ، وهى الطبعة الأولى الصادرة عام ١٩٥٢م . ونجد في بداية الطبعة المعتمدة في دراستنا مقدمتين إحداهما مؤرخة بعام ١٩٤٤م ، والثانية ترجع إلى عام ١٩٥١م، أما المقدمة الأولى فيبدو أن فيلبي قد دونها أثناء انتهائه من جمع ثم تدوين معلومات هذا الكتاب ، وقد أشار فيها إلى فضل جمعية الشرق الأوسط السالفة الذكر لقيامها بالدعم العلمي له، وتكلفها بنفقات نشر كتابه هذا. كما نلاحظ أنه نوه في ذات المقدمة إلى أهمية كتابه وكونه من أفضل الكتب الأجنبية التي صنفت عن النصف الجنوبي الغربي من البلاد السعودية ، ونحن نوافقه القول لما احتوى عليه هذا المصنف من معلومات متنوعة وقيمة يندر وجودها في مرجع آخر تناول هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال الفترة الزمنية نفسها وهي العقد الرابع من القرن الميلادي الحالي[٧٨] .

أما المقدمة الثانية والمؤرخة بعام ١٩٥١م، فليست سوى تكملة للمقدمة السابقة ، وقد أشار فيها إلى مرور سبع سنوات على كتابة مقدمة الكتاب الأولى وتوضح أنه خلال تلك السنوات بدأت أوضاع البلاد السعودية في التحسن والنمو، وأنه يتنبأ بمستقبل مشرق لهذه البلاد، كما ينوه إلى تطور العلاقات السياسية والحضارية بين الحكومتين السعودية والأمريكية، ويوضح تركيز الأمريكيين في دراساتهم وبحوثهم الأكاديمية على شبه الجزيرة العربية[٧٩] .

وهذا الكتاب الضخم ، موضوع الدراسة ، عبارة عن رحلة قام بها عبد الله فيلبي من بلدة السليل في أسفل وادي الدواسر، وذلك بعد الانتهاء من رحلته في الربع الخالي، والتي فصلها في كتابه:- الربع الخالي **(The Empty Quater)** الذي صدر في لندن عام (١٩٣٣م).

وانطلاقة فيلبي في هذه الرحلة من بلدة السليل كان في ١٩٣١/٣/١٤م، وقد أشار إلى ذلك في بداية الفصل الأول من كتابه الذي قسمه إلى ستة أبواب تحتوي على ثلاثة وثلاثين فصلاً[٨٠] . ففي الباب الأول الذي وضعه تحت عنوان :- استهلال (Prelude) ، ناقش فيه ثلاثة فصول هي : ما بعد الربع الخالي ، وادي بيشة ، وطريق الفيل[٨١] . أما الباب الثاني ، فسمـــاه : الوادي الثلاثـــي (The Triple Valley) ، وتحدث فيه على امتداد سبعة فصول عن ، مخيم الملك ، الخرمة ، رنيه ، بيشة ، خميس مشيط ، مرتفعات عسير ، ووادي تثليث[٨٢] ، وهذا الباب خاصة سوف يكون موضوع دراستنا لأنه شمل جزءاً كبيراً من إقليم عسير في عصر فيلبي. أما الأبواب الأربعة الأخرى فهي خارج نطاق إقليم عسير، حيث كان البابان الثالث والرابع عن بلاد يام ونجران[٨٣] ، أما البابان الأخيران الخامس والسادس فقد ركزهما فيلبي على المرتفعات والمنخفضات التهامية ، وخاصة منطقة جازان وما حولها، وكذلك السهول الساحلية المطلة على البحر الأحمر، ثم منطقة القنفذة[٨٤] .

ومن يطالع الجزئية التي ناقشها فيلبي عن إقليم عسير، وخاصة المنطقة الممتدة من بيشة إلى وادي شهران ومدينة أبها (حاضرة عسير) نجده تعرض لمواضيع عديدة منها:-

١ - جغرافية منطقة عسير واختلاف تضاريسها وثرواتها الطبيعية ، فيذكر فيلبي أسماء جبال وأودية وهضاب عديدة في كل من بيشة،وخميس مشيط، وأبها ، ويشير إلى الارتفاعات الشاهقة لبعض الجبال المطلة على مدينة أبها من جهة الغرب والشمال[٨٥] . كما تطرق إلى الحديث عن مناخ إقليم عسير واعتداله في الصيف ، وكثرة الغابات فيه وخاصة في المناطق المحيطة بأبها وخميس مشيط[٨٦] أيضاً نجده يحرص دائماً على ذكر أسماء الطيور

والحشرات المتواجدة في منطقة عسير، فذكر أعداداً كثيرة منها مثل : الخفافيش ، والنسور، والحجل ، والحمام ، والهدهد، والبلابل ، وطير الباز وغيرها[٨٧] . ولم يكن فيلبي يكتفي بذكر أسماء هذه الطيور وبعض الحشرات وإنما كان مولعاً بصيدها وتربيتها في مقر سكنه يوم أن كان يقوم بهذه الرحلة حتى إنه ذكر أن الناس في أبها وما حولها قد لفت نظرهم هذا التصرف من قبله فيقول " **وعن اهتمامي بعلم الطيور والحشرات ومراقبتي للنجوم وغيرها فكانت محور حديث الناس في المنطقة ...** "[٨٨] .

٢ – الاهتمام بالمواقع الأثرية فنلاحظ اهتماماته بها من إشاراته إلى كثرة النقوش والرسوم على الصخور والجبال الممتدة من بيشة حتى أبها، بل أحياناً يذكر بعض المواقع الأثرية في تلك المناطق ويجزم أنها تدل على وجود حضارات قديمة في هذه البلاد[٨٩] .

٣ – الحديث عن أعلام المنطقة فيذكر فيلبي أثناء رحلته العديد من الشخصيات والمشائخ والأعيان ، وخاصة في بيشة وخميس مشيط وأبها ، فنجده يذكر في بيشة بعض موظفي الدولة الذين كانوا هناك مثل الأمير/ عبد الله بن معمر ، والقاضي/ عبد الله ابن الشيخ ، وسليمان بن إبراهيم الروافي الذي كان يتولى الشؤون المالية وجباية الزكوات[٩٠]،كما ذكر بعض مشائخ قبائل شهران مثل سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبي ملحة الذي كان يتولى الشؤون المالية في جميع منطقة عسير، وكان يتنقل في مواطن استقراره ما بين أبها وخميس مشيط[٩١]، أيضاً أشار إلى اسم تركي السديري الذي كان أميراً لمنطقة عسير ومقيماً في أبها،بل ذكر أخاه خالد السديري، وبعض مشائخ عسير وقحطان الذين كانوا يأتون إلى أبها لمقابلة أمير المنطقة[٩٢] .

٤ - الاهتمام ببعض جوانب الحياة الاجتماعية فنجده يتحدث عن المساكن وطريقة بناء البيوت وطرق العيش فيها ، فيذكر أنه رأى في بلاد شهران ومدينة أبها وما حولها منازل تتكون من طابق وطابقين [٩٣] ، بل شاهد بعض الأعيان والمشائخ والوجهاء يقتنون قصوراً تتكون من عدة أدوار[٩٤] ، كما لاحظ فيلبي طريقة بناء بعض هذه القصور فذكر أن الأحجار تستخدم في بناء أجزائها السفلية ، بينما يستخدم الطين في الأجزاء العلوية[٩٥] وهناك بعض تلك القصور والبيوت محاطة بسياج من الأسوار لحمايتها من اللصوص والحيوانات المفترسة وكذلك الأعداء في أوقات الحروب[٩٦]. وفي أثناء حديثه عن البيوت كان يشير أحياناً إلى تقسيمات المترل الواحد، فعندما يكون قصراً أو بيتاً مكوناً من طابقين فيكون هناك أقسام لسكنى أفراد الأسرة، وأجزاء لاستقبال الضيوف وغالباً ما تكون في الطابق العلوي وأجزاء أخرى لخزن الحبوب ومبيت الحيوانات الأليفة التي كان يقتنيها أهل المنطقة مثل : الأبقار، والحمير والأغنام[٩٧] . ومحلها الطابق السفلي كما أشار إلى وجود بعض البيوت في بيشة مبنية بالقش وسعف النخل ، كما ذكر بيوت الشعر التي كانت معروفة لدى البدو الرحل في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير، وخاصة البلاد الواقعة بين بيشة وخميس مشيط[٩٨].

ويشير المؤلف إلى مدن أبها وخميس مشيط وبيشة فيذكر كثرة القرى الصغيرة الواقعة حول هذه المراكز الحضارية[٩٩] ، وتقارب البيوت في القرية الواحدة، وضيق الأزقة الفاصلة بينها ، كما أن جميع مواد البناء المستخدمة في إقامة المنازل بمنطقة عسير كانت محلية، مثل الحجارة والطين وكذلك الأخشاب المستخدمة في السقوف والنوافذ والأبواب[١٠٠]. ويلفت نظر فيلبي ازدحام المنازل العسيرية من الداخل بمظاهر الأناقة الزخرفية رغم بساطة مظهرها الخارجي وذلك عندما دخل

العديد من منازل الأمراء والمشائخ والوجهاء من رجالات المنطقة ، بل أقام ساكناً بعض الوقت في بعض الدور ببيشة وخميس مشيط وأبها ، فقال عن بيوت شاهدها في منطقة بيشة: " **وكانت المنازل مزخرفة بأشكال هندسية أخاذه وبألوان المداد العديدة على كل الجدران وهذا النوع من الزخرفة خاص بهذه المنطقة ، وبالمنطقة المحيطة بأبها...**"(١٠١) .

ويواصل فيلبي حديثه عن الحياة الاجتماعية في عسير فيشير إلى الألبسة والزينة عند سكان إقليم عسير فيذكر أنه شاهد في أسواق المنطقة العديد من الأقمشة والألبسة وكذلك بعض أدوات الزينة الخاصة بالنساء والرجال مثل : الكحل ، وبعض الأشجار النباتية التي كان يضعها الرجال والنساء في رؤوسهن من باب التزين بها(١٠٢) . أيضاً بعض أدوات الزينة عند الرجال مثل : لبس العباءات ، والعمائم ، والعقال ، وكذلك الاحتزام ببعض الأسلحة كالخناجر والسيوف وما شابهها(١٠٣) . ويشير إلى ألبسة بعض النساء فذكر أنه شاهد النساء في أسواق بيشة وهن يعملن في البيع والشراء ، ثم قال : " **وكان أغلبهن يرتدي الثوب الأسود الفضفاض ، والبعض الآخر يرتدي الثوب الأحمر ، وقليل منهن كان يرتدي الثوب الأصفر الأكثر جاذبية، والأقل فضفضة من الثياب السابقة ، وقد لبسن جميعاً ذلك الخمار الأسود الذي يغطي الرأس والوجه حتى الصدر...**"(١٠٤) .

وينوه عن توفر الحبوب وبعض الأطعمة في أسواق المنطقة ، كما يذكر أنه شاهد العديد من أنواع الفواكه المحلية مثل :- التفاح ، والخوخ ، والتين ، والرمان، والعنب وغيرها . ويذكر أن الفقر كان سائداً على أغلب السكان في منطقة عسير ، وأغلب أطعمتهم من محاصيلهم الزراعية وكذلك من منتجات حيواناتهم(١٠٥) كما ذكر بعض الأطعمة التي أكل منها أثناء زيارته لمنطقة عسير ، لكنه تناولها في بيوت الأعيان والوجهاء في المنطقـــة فيذكر أنواع الأطعمة التي شاهدها على مائدة الشيخ/ عبد الوهاب أبي ملحة في خميس مشيط حيث كانت مكونة من " **خبز القمح**

المستطيل الرقيق ، ولحم الضأن ، والزبادي ، وأطباق من المأكولات اللذيذة الأخرى ، وأطباق كبيرة من الأرز في كل منها ملعقة ، وأطباق كبيرة من الدهن، من ذيل مؤخرة الغنم ، وزبادي الدجاج والصلصة ، وزبادي من الخضروات ، وأطباق من الحلويات المتعددة مثل : المهلبية والكعك المحلى المقلي بالسمن..."(١٠٦) ويذكر بعض أنواع الأطعمة التي أكلها على إحدى موائد أمير منطقة عسير ، تركي السديري وأخيه خالد فقال :" **... كانت من الأرز الجيد ، ولحم الضأن الشهي ، بالإضافة إلى المقبلات (الإدام) الذي وضع في زبادي وأطباق عديدة ، وكل منها على انفراد، والخبز المحلى المصنوع من القمح على شكل مستطيلات وبسمك ربع بوصـــــة...** "(١٠٧) .

وأشار فيلبي إلى عادات وتقاليد أخرى شاهدها في منطقة عسير، مثل زواج الشباب والشابات في سن مبكرة ، حتى إنه رأى بعض الشباب في خميس مشيط يتزوجون وأعمارهم تتراوح ما بين (١٢-١٣) سنة(١٠٨) ، كما أن قيمة المهور تختلف من البكر إلى الثيب ، فالمرأة التي سبق لها الزواج من قبل يكون مهرها يتراوح من (١٠-٢٠) ريالاً ، في حين أن الأبكار تكون مهورهن أعلى(١٠٩) .

ويذكر أنه شاهد بعض الاحتفالات الخاصة بختم القرآن ، حيث كان يحضر الشباب الخاتمون لكتاب الله وعليهم ملابس جميلة ، ويكون من حولهم أقاربهم وأهلوهم ، كما أن بعض الأعيان والوجهاء في المدينة أو القرية يحضرون مناسبة الاحتفال بالختام ، وذلك تعظيماً للقرآن واحتراماً لأولئك الخُتَّام وأهليهم(١١٠) .

وفي أثناء حديثه عن سكان المجتمع العسيري نجده يشير إلى أن أغلبهم من سكان القبائل والعشائر الساكنة في المنطقة ، لكن في المراكز الحضارية الكبيرة مثل أبها ، وخميس مشيط ، وبيشة كانت توجد عناصر بشرية أخرى وفدت من خارج المنطقة للعمل في المؤسسات الحكومية الموجودة آنذاك(١١١) ، وغالبية أولئك الوافدين كانوا من بلاد الشام ومصر والهند، وعناصر من بعض الدول الأفريقية للعمل في الزراعة والخدمة في بيوتات الأعيان والأمراء وشيوخ القبائل(١١٢) . بل ذكر أن عدد

السكان في أبها والأحياء المحيطة بها، يوم أن جاء إليها ، كان يتراوح بين (٨٠٠٠- ١٠٠٠٠) نسمة[١١٣] وأشار إلى حضوره صلاة الجمعة في مسجد أبها الجامع فكان عدد المصلين حوالي(٥٠٠) مصلٍ[١١٤].

٥ - العناية بدراسة بعض مظاهر الحياة الاقتصادية. حيث يشير من خلال مشاهداته العينية إلى الطرق الواصلة بين رنية وبيشة إلى خميس مشيط ثم إلى أبها ، ويذكر صعوبة تضاريسها ، واستخدام أغلبية سكان هذه المناطق " للجمال والحمير " في تنقلاتهم ونقل بضائعهم واحتياجاتهم[١١٥] . كما يشير إلى وجود أعداد قليلة من السيارات الحكومية وبعضها تجارية تقوم بعملية نقل البضائع لمسافات أكبر وذلك من إقليم عسير إلى نجد والحجاز[١١٦] . كما تحدث عن الأسواق الأسبوعية وانتشارها في جميع أنحاء عسير فيذكر أسواق بيشة في كل من قريتي الروشن ونمران[١١٧] ، ويذكر أسواقاً أخرى أسبوعية في الطريق المؤدية من بيشة إلى خميس مشيط ومدينة أبها ، ويفيض في التفصيلات عن تلك الأسواق من حيث قدوم الناس إليها من كل مكان، وتوفر السلع المختلفة بها، من مواد غذائية ، وألبسة وزينة وبضائع أخرى مختلفة[١١٨] . وقد سجل لنا مشاهداته لسوق خميس مشيط الأسبوعي، وما يدور فيه من حركة ونشاط تجاري، وتقسيم السوق إلى مناطق تعرف كل منطقة منها " بالمناخ " وهي مخصصة لبيع وشراء سلعة واحدة ، كما قدم لنا من خلال هذا الوصف تسجيلاً لبعض أسعار هذه السلع المختلفة التي يضمها السوق في زمنه فيقول : " **لقد كانت نشاطات السوق بوجه عام خاملة نسبياً ، رغم وجود حوالي (٥٠٠) من الناس فيه ، كانوا كلهم مشغولين بعمليات البيع والشراء.. وكانت كل سلعة تعرض في مكان منفصل عن المكان الذي تعرض فيه السلع الأخرى فيما يسمى (بالمناخ) ، وهي مساحة معينة تنصب عليها الخيام لمزاولة النشاطات**

التجارية... لقد كانت معظم السلع تعرض مكشوفة ، لكنني لاحظت أن هناك بعض السلع مثل الأقمشة والسلع التي تباع بالقطعة ، وسلع البقالات كانت تعرض في الأكواخ التي تعلوها المظلات. وقد قمت بتسجيل بعض الأسعار الدارجة هناك ، كأمر من الأمور التي عنيت بها ، وكانت رخيصة في معظمها . فقد كان ثمن أربع تنكات من البلح (عادة ما يستورد من خيبر[119] وبيشة) أو ما يعادل أربع سلات قصب (Habs) بنفس حجم التنكات (٢,٥ أو ٣ ريالات) ، وكل (٦ أو ٧) صاع من القمح بريال، والدخن (٨) بريال، ... والقهوة صاع واحد بريالين ، والقشر (٣) صاع بريال، والسمح (نبات بري يؤكل يشبه السمسم) أربعة جالونات بسبعة ريالات ، وكانت الشاة الواحدة بثلاثة ريالات، والثور أو البقرة بعشرين ريالاً، والبعير بأربعين ريالاً..."[120] .ويشير فيلبي أيضاً إلى بعض أسعار السلع التي شاهدها في أسواق بيشة ، فيذكر أن كيس الأرز الذي كان يزن (٢٢) صاعاً بـ(٢١) ريالاً ، وكيس السكر الذي يزن (٩١) رطلاً بتسعة ريالات، وعلبة من السمن (الزبدة المصفاة) بـ ٢٥ ريالاً وتزن (٣٧ر٥) رطلاً ، وجالون من البارفين بثلاثة ريالات و (٨٨ر٥) ياردة من القماش الأبيض بـ (١٨) ريالاً، والجمل الواحد من (٢٠-٨٠) ريالاً ، والشاة الواحدة من (٢-٣) ريالات[121] .وأشار فيلبي أيضاً إلى بعض الأوزان التي شاهدها في الأسواق العسيرية فذكر أن الصاع والأقة كانت الأوزان السائدة في البلاد، ونوه إلى أن الأقة تعادل في وزنها (٤٥) ريالاً أو (٤٠٠) درهماً ، ثم إن كل (٣١٢) درهماً تساوي واحد كيلو غرام، أما الصاع فيساوي ثلاث أقات أو أربعة كيلو غرامات[122] .ويلاحظ أن المقايضة كانت من أهم أساليب التعامل في الأسواق العسيرية،إلاّ أن ريال (مارياتريزا) الذي عرف محلياً باسم الريال الفرانسة كان متداولاً بكثرة بين العسيريين ، وقد انتشر تداول هذا الريال في فئتين،الزلطه الواحدة، ونصف الزلطه[123] .

ولم يغفل فيلبي عن ذكر ما شاهده في منطقة عسير من مدرجات زراعية وما كان يزرع فيها من الحبوب والثمار والفواكه ، كما أشار إلى توافر أنواع متعددة من المحاصـيل الزراعية على طول الطريق التي سلك من بيشة إلى أبها [١٢٤] ، كما ذكر توفـر الآبـار الـتي يتم حفرها في باطن الأرض إلى عشرات الأمتار ، والتي كانت تستخدم في ري المزارع وكذلك في جلب مياه الشرب أيضاً [١٢٥] . كما ذكر أسماء العديـد من الفنون الصناعية (الصناعات اليدوية) الموجودة في الأسواق العسيرية ، مـثل صـناعة الحصـر والحبال من سعف النخل في بيشة ، والصناعات الخشبية ، والحديدية ، والجلدية ، والحجرية والفخارية وغيرها . وجميع المواد الأولية المستخدمة في إنتاج هذه الصناعات كانت متوفرة في البيئة العسيرية [١٢٦] .

ثانياً : الدراسة المقارنة :

يجدر بنا قبل البدء في الدراسة التحليلية المقارنة للمادة العلمية الواردة في المصنفات الثلاثة موضوع هذه الدراسة ، أن نلقي أولاً لمحة موجزة عن المؤلفين من حيث العمر والجنسية والمستوى الثقافي والفكري لكل منهم ، وتوضيح الأهداف التي سعى من أجلها كل واحد من الثلاثة للدخول إلى إقليم عسير . . . ومما لاشك فيه أننا سوف نجد العديد من أوجه الشبه والاختلاف عند هؤلاء الرحالة الثلاثة سواء في مسيرة حياتهم الشخصية والعلمية، أو في آرائهم ومحاور دراستهم ، وما دونوه عن المنطقة ، كما سنجد أيضاً اختلافات واضحة بينهم في بعض الجوانب التي طرحوها أثناء كتابتهم عن الإقليم، وبناء على ذلك رأينا تقسيم الدراسة المقارنة إلى النقاط الآتية :-

أ - خبرات وثقافات الرحالة الثلاثة .

ب - المصادر التي اعتمدوا عليها في تسجيل مدوناتهم.

جـ - المنهج المستخدم في تصنيف الكتب الثلاثة .

د - دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم روايات الرحالة الثلاثة وسنتناول فيها:-

١ - الأحوال الجغرافية لمنطقة عسير .

٢ - التركيبة السياسية لسكان المنطقة .

٣ - التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة .

٤ - وصف القرى والمنازل .

٥ - اللباس والزينة والأطعمة والأشربة .

٦ - بعض العادات والتقاليد .

٧ - بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية .

٨ - النواحي الاقتصادية .

وسنبدأ الآن بعرض ودراسة تفصيلية لهذه النقاط :-

أ- **خبرات وثقافات الرحالة الثلاثة** :-

- إذا تناولنا العمر الزمني لكل واحد من الرحالة الثلاثة ، فسنلاحظ أنه يجمع ثلاثتهم الجنسية الأوروبية فتاميزيه فرنسي الجنسية ، ومن أولئك الفرنسيين الذين وفدوا من فرنسا للإقامة والاستقرار في مصر ولانملك أي دليل قاطع على مكان مولده وهل كان ذلك في مصر أم في فرنسا، لكن القول الذي لاشك فيه أنه من أرومة فرنسية، وممن عمل في مهنة الطب التي قدم من أجلها مع جيوش محمد علي باشا التي جاءت من مصر لإخضاع منطقة عسير . ولم يكن هذا الرحالة بمفرده مع تلك الحملة وإنما كان معه عدد من الفرنسيين الآخرين الذين جاءوا مع الحملة من أجل المهمة نفسها التي جاءت بتاميزيه [١٢٧] .وهذا الرحالة دون كتابه الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة من باب حب الاستطلاع ، وليس لأي هدف سياسي أو اقتصادي أو خلافه ، لكنه حفظ لنا معلومات من الصعب أن نجدها في أي مصدر

عربي أو أجنبي خلال المدة التي قدم فيها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) [١٢٨] . أما كورنواليس وفيلبي فيختلفان عن تاميزيه حيث كانا يفوقانه في السن، وكذلك في التجارب والخبرات المتنوعة ، ثم إن قدومهما إلى بلاد عسير كان تحت أهداف سياسية واجتماعية واقتصادية متعددة الأوجه [١٢٩] . فكورنواليس أرسل إلى بلاد عسير قبل الحرب العالمية الأولى ، من قبل الاستخبارات الانجليزية كي يكتب تقريراً متكاملاً عن المنطقة ، ولم يكن يهدف إلى تأليف الكتاب، ولكن تميز كتابه بجدة المعلومات الواردة فيه جعلت المكتب العربي في القاهرة يسعى إلى طبعه ونشره في كتاب متداول بين الناس [١٣٠] . كذلك فيلبي أرسل إلى جنوبي شبه الجزيرة العربية بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود من أجل تدوين أكبر قدر ممكن عن أحوال هذه المنطقة ، وكانت بلاد عسير من الأجزاء المحظوظة التي نالت نصيباً جيداً مما دونه هذا الرحالة عنها .

وإذا حاولنا معرفة المستوى الثقافي والفكري لكل واحد من هؤلاء الرحالة ، فإنهم جميعاً كانوا على مستوى جيد من الوعي الثقافي والفكري ، بل إنهم جميعاً كانوا يعرفون اللغة العربية [١٣١] . وهذا ما وجدناه واضحاً وصريحاً بالنسبة لتاميزيه ، وفيلبي ، أما كورنواليس فلم نجد في كتابه ما ينص على أنه كان ملماً باللغة العربية ولكن المعلومات التي جمعها والتفصيلات التي أوردها تنم عن قدرته على التحدث باللغة العربية التي جمع من خلالها معلومات كتابه [١٣٢] . وفيما يبدو أن تاميزيه وكورنواليس كانوا يدينون بالديانة المسيحية ، وكذلك فيلبي في العقود الأولى من حياته ، ولكنه بعد أن صار من رجال الملك عبد العزيز وأحد مستشاريه اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى (عبدالله)[١٣٣] .

ب- المصادر التي اعتمدوا عليها في تسجيل مدوناتهم ٠

أما الطريقة الأساسية التي اعتمدوا عليها في جمع المادة العلمية لكتبهم ، فتقوم على الرواية الشفوية ، وأسلوب الحوار وإجراء المقابلات مع أهالي وسكان المنطقة ، وإن اختلفوا في طريقة الجمع٠ فتاميزيه جاء مع الحملة العسكرية المصرية العثمانية الغازية لبلاد عسير، وبالتالي كان خروجه مستحيلاً إلى الأماكن العامة ، وتجمعات الأهالي كالأسواق، والمناسبات الاجتماعية المختلفة وغيرها ، وذلك لخوفه على نفسه من التعرض للقتل من قبل الأهالي، خصوصاً إذا تبينوا هويته الأجنبية ، ومجيئه مع القوات الغازية ، ناهيك عن أنه كان يدين بالمسيحية ، وقد جعلنا هذا نستبعد احتمالية احتكاكه المباشر بعناصر المجتمع المدني المختلفة في عسير ، وإنما تركزت طريقة جمعه لمعلوماته على المشاهدات العينية والانطباعات الشخصية أثناء تحرك الجيوش التي رافقها من بيشة إلى أبها ، علاوة على التقائه أحياناً ببعض مشايخ القبائل والأعيان الذين كانوا يأتون من ديارهم لمقابلة قادة الجيش المصري، وذلك لتقديم الولاء والطاعة لهم ، حيث اعتاد بعضهم الإقامة عدة أيام مع الجيش٠ ولعل ذلك من العوامل التي ساعدت تاميزيه على جمع معلوماته بدليل ذكره لبعض هؤلاء الأعيان والمشايخ واستعانته بهم من أمثال دوسري أبي نقطة العسيري ، الذي قدم مع الجيش من مصر بهدف توليته منصب الإمارة في عسير بعد الاستيلاء عليها من قبل الجيش العثماني ، كما أشار إلى بعض المشائخ في بيشة وخميس مشيط ، مثل :- الشيخ مشيط،شيخ مشائخ شهران،وكذلك الشيخ علي الصعيري شيخ بني سلول في بيشة ، حيث كانا من الروافد الرئيسة التي ساعدت تاميزيه في جمع معلوماته (١٣٤)٠ فأما فيلبي فقد خدمه الحظ حيث كان مدعواً من قبل حاكم المملكة العربية السعودية ، الملك عبد العزيز ، فبالتالي لم يكن يجد صعوبة في جمع المادة العلمية ، حيث كان محتفيً به أينما نزل ، وبذل رجال الدولة في بيشة وأبها ، وكذلك مشايخ

وأعيان القبائل جهدهم في تقديم العون وكافة المساعدات المطلوبة له . أضف إلى ذلك تمتعه شخصياً بخبرات عملية جيدة إلى جانب ارتفاع مستواه الفكري والثقافي . الأمر الذي مكنه من تدوين المعلومات المتنوعة ، وإخراج كتابه القيم المعنون باسم "**النجود العربية**" وهو كتاب يمتاز برصانة أسلوبه ، ودقة معلوماته ليس عن منطقة عسير فحسب ، وإنما عن معظم جنوبي شبه الجزيرة العربية [١٣٥] .

جـ - المنهج المستخدم في تصنيف الكتب الثلاثة:

وهذه الكتب الثلاثة تختلف في طريقة التدوين والصياغة . فكتاب تاميزيه اعتمد في أغلبه على أسلوب الحوارات وإلقاء الأسئلة على بعض الرواة وتدوين ما يسمع ، مع أن معظم الكتاب يتحدث عن الحملة التي جاء معها وطريقة سيرها وتعاملها مع العشائر والسكان المارين عليهم من الطائف حتى أبها، أما كتاب كورنواليس فأسلوبه تقريري محدد المعلومات مختصر في التفصيلات تحقيقاً للهدف الذي جاء من أجله . أما طريقة فيلبي في تدوين معلوماته فكانت مكتوبة بأسلوب فيلبي الذي يمتاز بالجودة والرصانة، مع العلم أنه كان يسأل أحياناً عن بعض النواحي التي يريد معرفة معلومات عنها ، إلا أنه غالباً كان يعتمد على المشاهدة ودقة التفاصيل في جزئيات معينة ، وهذا مما يجعله أحياناً يفقد الربط بين الأفكار فتراه قد يكتب عن عشيرة معينة ، لكنه أثناء حديثه قد يخوض في تفصيلات دقيقة كأن يتحدث عن الطيور والنجوم والآثار وغيرها من الأشياء التي شاهدها أثناء إقامته أو حديثه عن العشيرة أو القبيلة التي يكتب عنها .

د - دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم روايات الرحالة الثلاثة :-

وإذا حاولنا معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين محتويات الكتب الثلاثة فيمكننا حصرها في العديد من النقاط الرئيسة أولها :

١ـ **الأحوال الجغرافية لمنطقة عسير** :

تعرض الرحالة الثلاثة موضوع الدراسة للحديث في مصنفاقم عن الأحوال الجغرافية في المنطقة المعنية بالدراسة ، فأشاروا جميعاً إلى تنوع تضاريس البلاد، ونوهوا إلى المناخ ، وأنواع الرياح التي تهب على منطقة عسير ، والنباتات والأشجار المتوافرة في المنطقة ، كما ذكروا بعض أنواع الحيوانات الأليفة والمفترسة والحشرات والطيـــور(١٣٦) .

وعلى الرغم من إشارتهم جميعاً إلى هذه الجوانب، إلاّ أنهم لم يكونوا على مستوى واحد فيما دونه كل منهم من معلومات حيال هذه العناصر فتاميزيه أقلهم ذكراً لهذه النواحي فلم تأت في مدوناته إلا عرضاً وأثناء حديثه عن سكان المنطقة. وتحركات الجيوش من محطة لأخرى في طريقها إلى مدينة أبها . أما كورنواليس وفيلبي فكانا أكثر اهتماماً بتدوين هذه الجوانب . فكورنواليس كان من أساسيات مهمته التي قدم من أجلها إلى إقليم عسير أن يدون تقريراً وافياً يشمل كل شيء ، والعناصر السالفة الذكر تعتبرفي نظره وفي نظر قادته الذين أرسلوه في غاية الأهمية لهذا نجده يدون معلومات جيدة عنها ، وتحت عناوين منفصلة ، مثل :- التضاريس ، الخصائص الطبيعية والمناخية وغيرها (١٣٧). أما فيلبي فقد اتصف بخبرة واسعة في علم الرحلات ، وإلى جانب دقة ملاحظته وتعوده على التجوال ، فلم تكن رحلته في الكتاب الذي نحن بصدد دراسته مقتصرة على عسير، وإنما شملت عسيراً وبلاد يام ، ونجران وجازان والقنفذة وغيرها ، وهذه الرحلة الطويلة جعلته أحياناً يقارن بين تلك المناطق من حيث المناخ والتضاريس والحياتان النباتية والحيوانية ، وهذه الطريقة في التدوين أكسبت كتابه رصانة وجودة ، مع العلم أن حديثه عن الأحوال المناخية والتضاريسية في منطقة عسير لم يكن مجموعاً في مكان واحد مثل كورنواليس ، ولكنه كان موزعاً في أماكن عديده على صفحات الكتاب .

كما أشار إلى تنوع الحياتين الحيوانية والنباتية في المنطقة ، وذلك أثناء عبوره الطريق التي سلكها تاميزيه من قبله مابين بيشة وأبها حاضرة عسير(١٣٨) .

٢ ـ **التركيبة السياسية لسكان المنطقة** :ـ

دون رحالتنا الثلاثة معلومات نفيسة أثناء قدوم كل واحد منهم إليها ، والشيء المميز في ذلك أنهم جاءوا إلى إقليم عسير في فترات زمنية متباينة ومتباعدة بعض الشيء، فتايميزيه جاء إليها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، يوم أن كان عائض بن مرعي العسيري أميراً على المنطقة الممتدة من شمال نجران وجازان إلى بلاد غامد وزهران (١٣٩)، ويوم أن كانت الحجاز تحت ولاية الأشراف الذين يخضعون للدولة العثمانية في الاستانة ونفوذ محمد علي باشا في مصـــر(١٤٠) ، كذلك اليمن كان وضعها مثل الحجاز تخضع للقوى العثمانية(١٤١) . وبرغم أن عائض بن مرعي كان أميراً لعسير فإن القبائل داخل منطقة عسير لم تكن جميعها على وتيرة واحدة في ولائها للأمير عائض ، وأكبر دليل على ذلك أننا نجد تاميزيه يدون في كتابه المعني بالدراسة أن القبائل التي كانوا يمرون عليها شرقي بلاد غامد وزهران ، وكذلك بلاد بيشة وشهران كانت سريعة الانقياد والدخول تحت لواء الجيش العثماني الذي جاء تاميزيه معه ، وربما يعود ذلك إلى رغبة بعض منهم في التخلص من إمارة عائض بن مرعي ، وربما خوف بعض آخر من هذه الجيوش الغازية وفي حالة الدخول تحت لوائها فإن الخسارة والدمار في ديار تلك القبائل سوف يكون أقل(١٤٢) . أما كورنواليس فيتميز على سابقه في هذه الناحية بحكم عمله في الاستخبارات البريطانية فكان من أهم النقاط المكلف باستيفائها من قبل رؤسائه وجعلته يقدم إلى المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م) هو التصوير الدقيق للقوى السياسية في إقليم عسير، وهذا بالفعل ما حصل، حيث ذكر أن المنطقة كانت مقسمة إلى أربعة أقسام هي :

١ - النواحي المستقلة متمثلة في القبائل والعشائر البدويه المعتمدة على التنقل والترحال، وهذه القبائل كانت الأعراف والعادات القبلية هي الضابط الذي يضبط طريقة التعامل فيما بين أفرادها(١٤٣) .

٢ - الأجزاء الشمالية من منطقة عسير مثل بلاد غامد وزهران وما حولها فكانت تدين بالولاء لشريف مكة .

٣ - أما الأتراك فكان لهم نفوذ على مدينة أبها وما حولها ، وربما امتد نفوذهم إلى بعض المراكز الحضارية شمالي أبها مثل : النماص في بلاد بني شهر، ومحائل والقنفذة في المناطق التهامية (١٤٤) .

٤ - أما الأجزاء التهامية الممتدة من محائل شمالاً إلى صبيا جنوباً بما فيها السفوح الغربية لجبال السروات المطلة على أبها فكانت تحت سيطـــرة الإدريســـــي(١٤٥). بينما جاء فيلبي إلى إقليم عسير في ظروف كانت أفضل من الظروف التي جاء فيها سابقاه حيث كانت جميع منطقة عسير تحت لواء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وكانت الأوضاع السياسية مستقرة بشكل كبير وأكثر ما يفسد الحياة السياسية آنذاك هو الطابع القبلي الذي يتصف به سكان البلاد، فقد توجد المشاكل بين أفراد القبائل المتجاورة على أماكن الرعي أو الحدود القبلية أو موارد المياه وغيرها(١٤٦) .

٣ - **التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة** :

ويناقش الرحالة الثلاثة بعض النواحي الاجتماعية في إقليم عسير ، لكنهم يتفاوتون في ذكر بعض الجوانب ، ويتقاربون في ذكر بعضها الآخر .

فنجدهم يشيرون إلى التركيبة السكانية من الناحية الاجتماعية التي كانت في المنطقة يوم قدوم كل واحد منهم فيجمعون على أن أغلبية السكان من العشائر

والقبائل العربية التي قطنت هذه البلاد منذ زمن بعيد[١٤٧] . ويتعرض كل واحد منهم لذكر القبائل التي شاهدها واختلط بسكانها، فكون تاميزيه وفيليبي قدموا إلى عسير من طريق واحدة ، من بيشة إلى أبها، نلاحظ نقاط التشابه واضحة وواسعة في حديثهم عن القبائل التي مروا عليها في المنطقة [١٤٨]. أما كورنواليس فقد فاقهم بكثير في هذه المعلومات ، حيث ذكر أسماء قبائل كثيرة جداً تعيش في المرتفعات الجبلية وفي المنخفضات التهامية من منطقة عسير، ولم يقتصر على ذلك وإنما كان في كثير من الأوقات يذكر مواقع تلك القبائل وعدد سكان كل قبيلة أو عشيرة ذكرهـــا[١٤٩] .وهذا التوسع في المعلومات عن منطقة يجهلها قد أوقعه في أخطاء كثيرة من حيث ذكر المواقع الدقيقة لبعض القبائل، وكذلك من حيث ذكر عدد السكان . وهذه مهمة صعبة جداً لأنه اعتمد في جمعه المعلومات على الرواة المحليين الذين يختلفون في الرغبات والأهواء ، فربما كان بعضهم يعطي معلومات عن موقع قبيلة وعدد سكانها متعمداً الوقوع في الخطأ من أجل تضليل هذا الرحالة ، ومن أجل إعطاء صورة معاكسة للحقيقة التي يتطلع إليها هذا الباحث، وأحياناً قد يعطي بعض منهم معلومات عن جهل وعدم معرفة بالحقيقة . وهذا شيء قد لمسته أثناء تجوالي في نواحٍ عديدة من جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وذلك على مدار عقدين من الزمان، فكنت دائماً ما أقابل عقبات عديدة، والتضليل أو الجهل في إعطاء المعلومة على رأس تلك العقبات . أيضاً فإن كورنواليس رجل غريب عن منطقة عسير، وربما عدم التمكن من اللغة العربية والمعرفة باللهجات واختلافها كانت أيضاً من العقبات التي اعترضت طريقه ، وهذا مما جعله يقع في أخطاء من هذا النوع، مع العلم أنه جاء بعده من أبناء العربية من كتب عن منطقة عسير، وخاصة عن قبائلها وسكانها فوقع في أخطاء قد تكون أكثر وأكبر من الأخطاء التي وقع فيها كورنواليس[١٥٠] .

أيضا نجد الرحالة الثلاثة يذكرون وجود عناصر أخرى في المنطقة غير العنصر القبلي. فتاميزيه يذكر أنه قدم مع الحملة التي جاء فيها إلى عسير العديد من الأوربيين،وأغلبهم من الفرنسين،وكذلك عدد من المصريين والمغاربة والأتراك(١٥١) ، وإن كانوا جاءوا مع الحملة ورجع أغلبهم معها فإنه قد بقى بعض منهم في إقليم عسير حتى ماتوا، وأحياناً خلفوا ذريه لازال بعض منهم ومن أحفادهم يعيشون بها إلى الآن. وقد أشار الرحالة الثلاثة إلى وجود العبيد والجواري الذين جلبوا إلى المنطقة من أفريقيا من أجل العمل في المهن والخدمات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة. وقد أشار فيلبي إلى وجود عناصر عربية أخرى في إقليم عسير أثناء قدومه إليها، مثل السوريين وكذلك المصريين الذين كانوا يعملون في بعض المؤسسات الحكومية في المنطقة مثل :- المالية والصحة والتعليم(١٥٢) .

وفي أثناء حديث هؤلاء الرحالة عن سكان المنطقة ، كانوا غالباً ما يشيرون إلى علية القوم فيهم مثل : الأمراء والشيوخ والأعيان وغيرهم . والفائدة التي جنيناها من هذه الدراسة هو التعرف على شخصيات لم نكن نعرف الكثير منهم في مصادر أخرى، وقد حفظها لنا هؤلاء الرحالة. فتاميزيه يذكر بعض التفصيلات عن بعض الأعيان الذين شاهدهم في بيشة وخميس مشيط وأبها ، وقد جلس مع بعض منهم وسألهم عن بعض النواحي الحضارية والعلمية التي يريد معرفتها وتدوينها في كتابه(١٥٣) . كذلك كورنواليس وفيلبي أوردا معلومات قيمة عن شخصيات عديدة، فالأخير أورد أسماء أمراء ومشائخ وموظفين كانوا يعملون في أماكن عديدة، مثل الإمارة والقضاء ، والمالية والتعليم وغيرها(١٥٤) . أما كورنواليس فقد أفاض في الحديث عن الشخصيات في منطقة عسير حتى إنه وضعهم تحت عنوان مستقل سماه : الشخصيات (Personalities) ، حيث أورد أكثر من (١٣٠) شخصية في أنحاء

منطقة عسير ذكر أسماءهم ومراكزهم الاجتماعية وأحياناً صفاقم الخِلقية والخُلقيـــــة [١٥٥] .

٤ـ **وصف القرى والمنازل** :

أشار كل من تاميزيه وفيلبي إلى طبيعة القرى في إقليم عسير ، وإلى أنواع المنازل والمرافق المحيطة بها ، وإلى نوعية مواد البناء ، وذلك أثناء مرورهما في الطريق الواصلة بين بيشة وأبها[١٥٦] . أما كورنواليس فلم يكن يركز على هذا الجانب بشكل واسع ، وإنما أشار إليها أحياناً بشكل عرضي . ويفوق فيلبي تاميزيه في إعطاء تفصيلات أكثر دقة عن مساحات القرى في البلاد العسيرية ، ونوعية المنازل ، فيبين لنا الطريقة المتبعة في البناء والتي تعتمد على استخدام الطين والحجارة ، وأوضح أن أغلب مباني المنطقة من الحجارة، وإن كانت أحياناً تبنى الأجزاء السفلية من المنزل بالحجارة ، ثم يستكمل الجزء العلوي من الطين ، ويتراوح ارتفاع المنازل من دور إلى دورين ، ماعدا الأعيان والأمراء والشيوخ فأحياناً كانت منازلهم أوسع أفقياً ، ويتراوح ارتفاع بعضها مابين أربعة إلى ستة أدوار، وقد شاهد ذلك في كل من بيشة وخميس مشيط وأبها . وكون فيلبي كان مدعوماً من قبل الملك عبد العزيز آل سعود، فقد استطاع دخول الكثير من بيوت أهل عسير، وبالتالي تمكن من إعطاء تفصيلات دقيقة عن الأقسام الداخلية التي تتكون منها منازل العسيريين ، لا سيما منازل الأعيان والمشائخ، فأوضح انقسام بعضها إلى عدة أقسام ، مثل :- قسم للضيوف ، وآخر لأفراد الأسرة ، وأقسام أخرى تستخدم كمستودعات، وأماكن للبهائم وغيرها[١٥٧] ، كما شاهد طريقة تأثيث البيت العسيري ، وخاصة عند علية القوم ، إلى جانب ملاحظته ازدحام المنازل من الداخل بالزخارف المتنوعة وقد بهرته هذه اللمسات الجمالية فأثنى عليها، وذكر تفرد منطقة عسير بهذا النوع من الزخارف المعمارية [١٥٨] .

٥ ـ اللباس والزينة والأطعمة والأشربة :ـ

ويشير رحالتنا الثلاثة إلى نوعية اللباس والزينة التي شاهدوا أهل عسير يلبسونها في مزارعهم وأسواقهم ، بل أشاروا إلى نوعية الألبسة والأقمشة التي كانت تعرض في أسواقهم الأسبوعية، إلاّ أن فيلبي يعتبر أكثرهم تفصيلاً من حيث ذكر بعض الألبسة التي كان يستخدمها النساء والرجال ، وقد ذكر أنواعاً عديدة من اللباس وأدوات الزينة المستعملة عند العديد من السكان في أسواق بيشة وخميس مشيط[١٥٩] .

وأحياناً كان تاميزيه وكورنواليس يذكرون بعض الأطعمة والأشربة التي كانوا يشاهدونها في أسواق المنطقة ، أو أثناء تناولهم لبعض منها . أما فيلبي فالظروف التي جاء فيها ساعدته على المكوث بعض الوقت في أجزاء عديدة من المنطقة ، كما تم استضافته على أكثر من وجبة ووليمة في بيوت بعض الأمراء والأعيان في المنطقة ، ومن ثم أعطى تفصيلاً لا بأس به عن بعض المأكولات التي كان يتم تناولها على الموائد في تلك البلاد[١٦٠] . وإذا كان ذكر بعض أسماء الأطعمة والأشربة في بيوت المقتدرين مادياً من الناس، فإن غالبية سكان المجتمع كانوا فقراء وكانت أغلب أطعمتهم من الحبوب التي تنتجها أراضيهم ، أو من منتوجات حيواناتهم التي يقومون على تربيتهـــــا[١٦١] .

٦ ـ بعض العادات والتقاليد :

ولم تكن تخلو منطقة عسير من عادات وأعراف متنوعة ، مثل عادات الزواج، والختان ، والمآتم ، والصلح ، والجوار وغيرها كثير[١٦٢] ، لكن هؤلاء الرحالة لم يتعرضوا لها كثيراً فيما عدا فيلبي الذي ذكر مشاهدته لعادة الزواج المبكر من الشباب والشابات في عسير،حتى إن بعضا منهم قد يتزوج بين (١٢-١٣) سنة ، كما نوه إلى أن صداق المرأة البكر كان عالياً بعض الشيء، في حين أن الثيب كان

يتراوح مهرها من (٢٠-٣٠) ريالاً[١٦٣]. ويذكر أيضاً أن التعليم بدأ ينتشر في عسير، والاهتمام بالقرآن وتلاوته كان من أهم الأمور التي يركز عليها السكان ، حتى إنه قد شاهد حفلاً في بيشة يحتفى فيه بختام القرآن، وذكر أنه كان يحضره الشباب المحتفى بهم وعليهم ألبسة جميلة إلى جانب أنه يحضر مثل تلك المناسبة العديد من الأعيان والوجهاء وعلية القوم في المنطقة وذلك تكريماً لكتاب الله ثم احتفاء وفرحة بهؤلاء الشببية الذين ختموا كتاب الله[١٦٤] .

٧ـ بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية :

ومن النواحي التي أشار إليها كل من تاميزيه وفيلبي اهتمامهما بذكر بعض النواحي العلمية والفكرية في المنطقة، فقد أشارا إلى تعداد المواقع الأثرية والنقوش التي تقع على الطريق ما بين بيشة وأبها[١٦٥] . كما أشرنا من قبل لاهتمامات فيلبي بملاحظة أنواع الطيور والحشرات الموجودة في المنطقة وإقدامه على جمع بعضها، كما تميز أيضاً باهتمامه بحركة النجوم وتتبعه للأنواء[١٦٦] .ولم يغفل عن ذكر لمحة عن الحياة الصحية في البلاد فأشار إلى وجود مستوصف بأبها يعمل فيه طبيب هندي يعالج الأمراض البسيطة مثل: الحمى، والجروح الصغيرة وغيرها ، ويذكر أن إمكانات ذلك المستوصف كانت بسيطة جداً[١٦٧] .كما أشار إلى بعض الأمراض التي كانت تصيب الناس هناك ومن أشدها أمراض الحمى التي أصيب بها هو نفسه أكثر من مرة أثناء إقامته في عسير[١٦٨] .

٨ـ النواحي الاقتصادية :

ويذكر رحالتنا الثلاثة النواحي الاقتصادية في الإقليم ، وخاصة التجارة فيذكرون جميعاً الأسواق الأسبوعية الموجودة في المنطقة ، وأهميتها في تجمع الناس وتبادل الأخبار والسلع التجارية ، بل يذكرون ما كان لتلك الأسواق من أهمية عند أبناء القبائل ، وما كان لها من أنظمة وقوانين لحمايتها وتعامل الناس فيها براحة

وأمـــان. ولكن الرحالة الفرنسي تاميزيه يأتي أقل الثلاثة في الحديث عن هذا الجانب، أما كورنواليس وفيلبي فقد فصلوا الحديث عن أسماء بعض الأسواق ، والسلع التي ترد إليها، والطرق الموصلة لها، والأسعار، والأوزان ، وطرق التعامل . لكن كورنواليس أيضاً يفوق فيلبي في الحديث عن هذه النقاط ، حيث أفرد لبعضها عناصر مستقلة في كتابه ، ولو أنها مختصرة بعض الشيء إلاّ أنها قيمة وتشمل معلومات دقيقة ومركزة. ومن أجود العناصر التي تعرض لها ضمن الناحية التجارية الطرق التي تربط منطقة عسير بعضها مع بعض ، حيث ذكر أسماءها ومحطاتها والسكان الذين يعيشون على أطراف تلك الطرق ، مع الإشارة إلى بعض العقبات التي امتازت بها بعض تلك الطرق[١٦٩].وربما يساوي كورنواليس الرحالة فيلبي وأحياناً يفوقه في الحديث عن طبيعة الأسواق المحلية الأسبوعية والأسعار والعملات والأوزان التي كانت سائدة فيها[١٧٠] ، مع العلم أن فيلبي قد أشار إلى هذه الجوانب وخاصة في أسواق بيشة وخميس مشيط[١٧١]، ويجمع الرحالة الثلاثة على أن الوسائل الرئيسة لنقل الناس والتجارات كانت مركزة على الجمال والحمير، ولكن في عصر فيلبي أصبحت السيارات تعمل إلى جانب تلك الدواب ، وخاصة فيما بين بيشة وأبها فقط[١٧٢] .

ويشير الرحالة الثلاثة إلى وجود مهن اقتصادية أخرى في إقليم عسير مثل الرعي والزراعة وبعض الحرف الصناعية التقليدية. ولكن كورنواليس يُعد أفضلهم في ذكر هذه النقاط ، حيث ذكر هذه المهن والفنون الصناعية التقليدية في أماكن مستقلة من كتابه رغم قصرها، ثم يأتي بعده فيلبي الذي أشار إلى وفرة المدرجات الزراعية في أنحاء منطقة عسير ، كما أنه شاهد العديد من الصناعات الحرفية واليدوية التي كانت تباع وتتداول في الأسواق الأسبوعية في المنطقة [١٧٣].

و ـ الخاتمة :

وخلاصـــة القول أن هؤلاء الرحالة الثلاثة قد جاءوا في فترات متباعدة إلى مـــنطقة عسير تحت أهداف وأغراض سياسية وحضارية مختلفة، وإذا كانت الظروف دفعت تاميزيه ليأتي مع جيوش محمد علي باشا إلى المنطقة ، فربما لم يكن ذلك مدروساً ومخططـــاً لـــه مـــن قـــبل ، ليدون رحلته عن هذه المنطقة. وذلك بخلاف كل من كورنواليس وفيلبي اللذين جاءا بدعم وتأييد من قوى سياسية مختلفة لجمع وتدوين معـــلومات عـــن المـــنطقة ، حيـــث جاء كورنواليس بدعم من قوى استعمارية هي الإمـــبراطورية الـــبريطانية ، في حين أن فيلبي جاء بدعم من حاكم المملكة العربية الســـعودية الملك عبد العزيز . فكون الظروف مختلفة والأهداف التي جاء من أجلها كل من ذينك الرحالتين متنوعة ، إلاّ أننا معشر الباحثين قد استفدنا استفادة واضحة من المعلومات القيمة التي سجلها الرحالة الثلاثة ، والتي قلما نجدها في مصادر أخرى سواء كانت عربية أم أجنبية ، فألقت الكثير من الأضواء على نواحٍ مجهولة من تاريخ وحضـــارة هـــذه المنطقة من جنوبي البلاد السعودية خاصة وأن منطقة عسير موضع الدراســـة هي في حد ذاتها فقيرة في معلوماتها وفيما دون عنها سواء قديماً أو حديثاً ، لكن الحصول على جزء من شيء أفضل من لاشيء.

ز- الحواشي والتعليقات

١ - حـــافظ وهبة • جزيرة العرب ، ص٣٣ ، فؤاد حمزة • في بلاد عسير، ص ١٤٥، ٢٦٣-٢٦٩، محمودشاكر • شبه جزيرة العرب، ص١٤٢ومابعدها، يحـيى الألمعـــي • رحلات في عسير ، ص٣٤ - ٣٥، هاشم النعمي • تاريخ عسير ، ص٤ ومابعدها •

٢ - جاكلين بيرين • اكتشاف جزيرة العرب ، ص٢٥١ - ٢٧١ •

٣ - موريس تاميزيه • رحلة في بلاد العرب ، ص٣١ ومابعدها ،

Sir Cornwallis. Asir, pp. 7 ff; Philby, Arabian Highlands, pp. 28 ff.

٤ - انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٦ •

٥ - المصدر نفسه •

٦ - لــلمزيد من التوضيحات عما ذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل عـــن بـــلاد عســـير • انظر: ابن خرداذبة • صاحب المسالك والممالك ، والاصطخري • صاحب مسالك الممالك ، وابن حوقل • صورة الأرض، وابـــن جـــبير، رحـــلة ابن جبير، وياقوت الحموي • معجم البلدان، وابن المجـــــاور • تـــاريخ المستبصر؛ علي عسيري • عسير، ص٢٣ ومابعدها ؛ غيـــثان بن جريس " بلاد تهامة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائـــــــل ٠٠٠" ، ص٧٣ ومابعدها •

٧ - لمـــزيد مـــن التفصيلات عن الإمارات التي ظهرت في اليمن والحجاز خلال العصور الإســـلامية المبكرة والوسطى ، ثم محاولة حكامها مد نفوذهم على بـــلاد عسير • انظر، تاريخ مكة المكرمة ، للسباعي ؛ والمقتطف من تاريخ اليمن • جمع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني •

٨ - انظر : علي عسيري • عسير ، ص ٣٥ ؛ غيثان بن جريس • صفحات من تاريخ عسير ، جـ١ ، ص ٧-١١ •

٩ - المرجع نفسه •

١٠ - انظر : علي عسيري• عسير، ص١٢١ ومابعدها ، النعمي • تاريخ عسير ، ص١٣١ ومابعدها ؛ غيثان بن جريس • بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٤٣ ومابعدها•

١١ - النعمي ، تاريخ عسير، ص١٣٢ ومابعدها ، ابن جريس ، بلاد بني شهر ، ص٥٠-٥١ •

١٢ - النعمي ، ص١٥٧-١٥٩، ابن جريس، بلاد بني شهر، ص ٥١؛ عسيري• عسير، ص١٢٤ ومابعدها•

١٣ - انظر تفصيلاً أكثر عن إمارة حمود أبي مسمار ومن خلفه على بلاد عسير• النعمي، ص١٥٩ مابعدها ، العقيلي ، المخلاف السليماني ، جـ١، ص ٤٤٧ ومابعدها•

١٤ - مغيد إحدى القبائل الكبرى في إقليم عسير•

١٥ - ابن جريس• بلاد بني شهر، ص٥٢ •

١٦ - انظر تفصيلات أكثر عن الأمير عائض بن مرعي وابنه محمد في كتاب ، عاكش• الدر الثمين ، ص٦ومابعدها، عسيري، عسير، ص١٦٠ ومابعدها•

١٧ - عسيري• عسير، ص ١٨٨ •

١٨ - المرجع نفسه ، ص١٩٣-١٩٧،١٩٥-١٩٨؛ النعمي ، تاريخ عسير، ص١٩٢-١٩٥ •

١٩ - النعمي ، ص٢٠٤، ابن جريس• بلاد بني شهر ، ص٥٤ •

٢٠ - عسـيري، عسـير ، ص٢٧٩، ٣٥٦ ؛ الحفظـي ، تاريخ عسير، ص٩٩ ومابعدها .

٢١ - انظـر عدد تلك المراكز الإدارية في كتاب . النعمي ، ص ٢١٦-٢١٧، محمود شاكر، ص٢٢ ، ابن جريس . أبها حاضرة عسير ، ص٥١-٥٥ .

٢٢ - للمزيد من المعلومات عن إقليم عسير خلال سيطرة الحكم العثماني عليها . العقيـلي، المخلاف ، جـ١، ص٥٢٦ ؛ النعمي ، ص٢٠٨ ومابعدها، ابن جـريس، صفحات، جـ١، ص٦٧-٩٠؛ ابن جريس " وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ). مجلة العرب ، ص١٥٤ - ١٧٠ .

٢٣ - الإمام الإدريسي ، هو :- محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي ولد في بلدة صبيا بمنطقة جازان عام ١٢٩٣هـ ، وتعلم على بعض علماء الصوفية في كل من مصر وليبيا والسودان ، ثم رجع إلى مسقط رأسه في صبيا فلعب دوراً أساسـياً كبيراً في تلك المنطقة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشـر الهجري (العشرين الميلادي) . لمزيد من التفصيلات انظر :- محمود شاكر . عسير، ص٢٣٣-٢٤٦؛ النعمي ، تاريخ ، ص١٨٢ ومابعدها .

٢٤ - لـلمزيد انظر . النعمي ، ص٢٢٤ ومابعدها ؛ الملكاوي ، العلاقة بين أمراء الأدارسة في عسير وأشراف مكة ، ص١٧ ومابعدها .

٢٥ - انظر ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص١٤ ومابعدها .

٢٦ - النعمي ، ص ١٥٧-١٥٩، ابن جريس ، بلاد بني شهر ، ص٥٠-٥١ .

٢٧ - ويظهـر ذلك واضحاً في مؤلف الباحثة الفرنسية (جاكلين بيرين) والذي أطـلقت عـليه اسم : اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من المغامرة والعلم ، ص٥ ومابعدها .

٢٨ - لقــد سبق تاميزيه أوربي آخر إيطالي يدعى جيوفاني فانتاني (Jiovanni Finati) ، حيث كان يعمل في جيش نابليون بونابرت ، ثم ساقه القدر إلى مصــر فعمل في جيش محمد علي وذهب مع ابنه طوسون إلى الحجاز، وقد كــان مــع جيش طوسون عام(١٢٢٦هــ/١٨١١م) عندما التقى ببعض الجيوش العسيرية في القنفذة تحت قيادة الأمير/ طامي بن شعيب العسيري ، وقد هزمت جيوش محمد علي ونجا منهم عدد كثير كان من ضمنهم جيوفاني الإيطالي الذي أملى مذكراته فيما بعد على تاجر بريطاني،وقد أورد في تلك المذكرات ماشاهده، وما حدث له/في خدمة الباشا في الجزيرة العربية،وخاصة مــا حدث له ولجيش طوسون مع الجيوش العسيرية في القنفذة، وقد نشرت هــذه المذكرات باللغة الانجليزية في لندن عام (١٨٢٨م)• كتاب تاميزيه المترجم (محمد ابن زلفة) ، ص١٣ •

٢٩ - كــان معــه عدد من الفرنسيين الذين يقومون بمهنة الطب ومعالجة المرضى والجــرحى في تــلك الحملة • وربما كان في أولئك الأوروبيين أو من جاء قبــلهم أو بعدهم من قام بتدوين ملاحظاته ومشاهداته عن إقليم عسير أو غيره ، ولكن تلك المدونات لم تصل إلينا ، أو لم تكتشف بعد •

٣٠ - انظر كتاب جاكلين بيرين • اكتشاف جزيرة العرب ، ص٢٥١ - ٢٧١ •

٣١ - هــناك العديد من الرحالة الغربيين المشاهير الذين زاروا بلاد العرب خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) • لمزيد من المعلومات انظر • عبد الشافي عبد القادر • "الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين" ، ص٤٢١- ٤٣٦؛ محمد الصياد • "الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر"، ص ٤٣٧-٤٤٤ •

٣٢ - انظر تاميزيه • رحلة ، مقدمة المترجم / محمد آل زلفه ، ص١٦ •

٣٣ –انظر : David George Hogarth. Hejaz before world WarI (Handbook) pp.8ff.

٣٤ – كان من المتعارف عليه أن المسؤولين البريطانيين عن الشرق كانوا ينتمون إلى فـــريقين ، فـــريق السياسين والعسكريين المتمركزين بالقاهرة ويتبعون دار المعـــتمد الـــبريطاني ، والذين أطلق عليهم اسم المدرسة المصرية أو مدرسة القاهـــرة، وفيما بعد اسم المكتب العربي ، وكان هذا الفريق يضم عدداً من الخـــبراء بالشـــؤون العـــربية مـــثل لورنس (Lawrence) وكلايتون (Clyton) و هوجـــارث (Hogarth)، وغيرهم ، أما الفريق الآخر فقـــد كـــان مركـــزه الهند وملحقاها في الخليج، وتزعم هذه المدرسة سير كوكس (Sir Cox)،والكابتن شكسبيـــر (Shakespeare)،ورغم اتفـــاق المدرستين على أهمية الشرق ، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى، فإنـــه كان ثمة خلاف فيما بينهما، فبينما مدرسة الهند كانت تهتم في المقام الأول بالعـــراق وفـــارس ، كانت مدرسة القاهرة، التي رفع السيركيناهان كورنواليس تقريره إليها، تهتم بقناة السويس وكل ما من شأنه حمايتها، إلى جـــانب ذلك فقد كانت مدرسة الهند تعتقد أنه باستطاعة الحلفاء، وبريطانيا خاصـــة ، تحقيق النصر في الحرب دون الاستعانة بالعرب ودون الالتجاء إلى إثـــارة العرب ضد الترك وهذا الأمر الذي دعت إليه مدرسة القاهرة التي ينتمي إليها كورنواليس، وقد وجد أعضاء المدرسة المصرية ضرورة دراسة المـــنطقة دراســـة مستفيضـــة من أجل التعرف على طبيعة المنطقة وسكانها وتركيـــباتها القبـــلية ومواردهـــا الاقتصـــادية، وهـــذا مـــانجح في تقديمه الســـيركورنواليس، مـــن خلال عمله عن عسير قبل الحرب العالمية الأولى، والذي وضع أساساً كتقرير مقدم إلى المكتب العربي بالقاهرة لاستخدامه من

خـلال أعضـاء المكـتب للتعرف على إقليم عسير ، ولإعطائهم الفرصة لإصدار أحكام صحيحة تتماشى مع المصالح العليا للإمبراطورية البريطانية. وســرعان ما أصبح هذا التقرير بعد السماح بطباعته وتداوله أحد المصادر الهامـة للـتعرف عـلى التركيبة السكانية لسكان منطقة عسير وأوضاعها الحضـارية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ومابعدها بقليل. للمزيد من التفصيلات انظر: مديحة أحمد درويش ، تاريخ الدولة السعودية خلال الربع الأول من القرن العشرين ، ص١١١ ومابعدها.

٣٥ - انظـر، حمد الجاسر. " فيلبي : رحلاته في البلاد العربية " مجلة العرب (عام ٤٠٩-١٤١٠هـ) مج٢٤، ص١٠٥-١٠٨.

٣٦ - جـورج رنـتز " فيلبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية " ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي. مجلة الدرعية (السنة الأولى ، عدد (٢) ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٦١.

٣٧ - المرجع نفسه ، ص٦١ - ٦٣.

٣٨ - المـرجع نفسـه. انظـر أيضاً تفصيلات أكثر عن سانت فيلبي في كتاب اليزبيث مونـرو (Elezabeth Monroe) في كتابهـا الشهيـر. **Philby Arabia** (فيـلبي العرب) والذي طبع في عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص٣٠٧-٣١٣. ومونرو نشرت في كتابها هذا أوسع دراسة عـلمية شاملة عن فيلبي ، وقد قابلته لأول مرة عام ١٩٣٨م، وفي سبيل الكتابة عنه سافرت إلى كل قطر عمل فيه مثل الباكستان والعراق والأردن ومصر وفلسطين ولبنان وجزيرة العرب مستخدمة ما تضمنته أرشيفاتها من معلومات عنه.

٣٩ - ويذكر عن صفات فيلبي (Philby) أنه كان يطمع منذ ريعان الشباب في العظمة والشهرة، وكان ذا مواهب متعددة ، وقدرة عجيبة في مجالات عدة كـالإدارة والسياسـة ، والتاريخ، والرحلات ، والآثار، وعلوم الطبيعة، والاقتصاد والمال، وكـان يتقن كثيراً من اللغات القديمة والحديثة. وللمزيد مـن التفصـيلات عن حياته وأعماله انظر :كتاب فيلبي العرب، للأستاذه مونرو (الطبعة الانجليزية)، ص٣٠٥ ومابعدها ، كما انظر أيضاً : ج ٠د٠ نورتـون " فيـلبي رجل الجزيرة العربية " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (الكويت ، العدد الثالث ، جمادى الثانية ، ١٣٩٥هـ) ، ص١٥١ -١٥٩ ٠

٤٠ - انظر كتاب تاميزيه،رحلة في بلاد العرب ، مقدمة المترجم ، ص٢٠-٢١ ٠

٤١ - المرجع نفسه ٠

٤٢ - المرجع ، ص ٢١ ٠

٤٣ - المرجع نفسه ، ص ١٢٥ ومابعدها ٠

٤٤ - المرجع نفسه ، ص٢٩٣ - ٣١٠ ٠

٤٥ - المرجع نفسه ، ص ٣١٣ - ٣٤٥ ٠

٤٦ - المـرجع نفسه ، ص ٥٥ ، ٨٩ ، ١٠٧، ١٢٥، ١٤٥ ، ١٦٧، ١٩٣، ٢١٥، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٧١، ٢٩١، ٣١١ ٠

٤٧ - المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ - ٣٥٠ ٠

٤٨ - المرجع نفسه ، مقدمة المترجم ، ص ٢٣ - ٢٤ ٠

٤٩ - المرجع نفسه ، ص ٢٤ ٠

٥٠ - المرجع نفسه ، ص ٢٤ ٠

٥١ - المرجع نفسه ، ص ٢٥ ٠

٥٢ - المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

٥٣ - Cornwallis, Asir, pp. 5,7

٥٤ - تاميزيه ، ص٢٥٦ ، Cornwallis, p. 9

٥٥ - Cornwallis , p. 10.

٥٦ - Ibid,p. 11

٥٧ - Ibid, p. 15

٥٨ - Ibid, pp. 17 - 18

٥٩ - Ibid, pp. 19-20

٦٠ - Ibid, p. 21

وللمزيد من التفصيلات انظر عسيري، عسير ، ص٤٠٧-٤١٠، غيثان بن جريس. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص١٨١-١٨٧ .

٦١ - Cornwallis, p. 21

٦٢ - Ibid, p. 23.

٦٣ - Ibid, p. 24.

٦٤ - Ibid, pp. 24-5.

٦٥ - Ibid, p. 25.

٦٦ - Ibid, p. 25.

٦٧ - Ibid, p. 25-6.

٦٨ - Ibid, p. 26 .

٦٩ - Ibid, p. 29.

٧٠ - Ibid, p. 30 .

٧١ - Ibid, pp. 32-43.

Ibid, pp. 44-83. - ٧٢
Ibid, pp. 32 ff. - ٧٣
Ibid, pp. 32 ff. - ٧٤
Ibid, pp. 84 ff. - ٧٥
Ibid, p. 104. - ٧٦
Ibid, p. 107. - ٧٧
Ibid, pp.107 ff.
Philby, Arabian Highlands, pp. Vii ff -٧٨
Ibid, p. VIII. - ٧٩
Ibid, p. 3. - ٨٠
Ibid, pp. 3-41. - ٨١
Ibid, pp.75-174 - ٨٢
Ibid, pp. 213 - ٨٣
Philby. pp. 437 - 676. - ٨٤
Ibid, pp. 123, 161 ff. - ٨٥
Ibid, pp. 161-3, 195ff. - ٨٦
Ibid, pp. 111, 112f, 140. - ٨٧
Ibid, pp. 151ff. - ٨٨
Ibid, pp. 135, 137ff. - ٨٩

والمتجول في المنطقة الواقعة بين بيشة وأبها لايزال يشاهد الكثير من القرى المنتشرة والتي يعود تاريخها إلى مئات السنين ، بل سوف يلاحظ المقابر السطحية والتي يصل ارتفاع بعض القبور فيها إلى ثلاثة وأربعة أمتار فوق

سطح الأرض،ناهيك عن النقوش والرسوم فهي أيضاً كثيرة في هذه المنطقة ، انظر: ابن جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص٥٦، ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص١٤٧-١٥٢ .

٩٠- **Philby, Arabian, pp. 112-3, 117,118**

٩١- **Ibid, pp. 129, 131 ff.**

٩٢- **Ibid, pp. 136, 148 ff.**

٩٣- **Ibid, pp. 29, 115, 131.**

٩٤- **Ibid, pp. 37, 129.**

٩٥- **Ibid, pp. 131, 136.**

٩٦- **Ibid, pp. 115, 131f.**

٩٧- **Ibid, pp. 115, 116, 139.**

٩٨- **Ibid, pp. 37,114, 140.**

وجديـــر بالذكر أن البيوت المقامة من القش والأخشاب كانت تنتشر أيضاً وبكـــثرة عند سكان السهول التهامية ، لاسيما في الجزء الممتد من القنفذة شمـــالاً إلى جازان جنوباً . للمزيد راجع : ابن جريس. (عسير ١١٠٠-١٤٠٠)، ص٤٩-٥٠ .

٩٩- **Philbly, Arabian, pp. 37, 140f.**

١٠٠- Ibid, pp. 29,37, 137ff.

من يشاهد القرى والمنازل القديمة في إقليم عسير اليوم يجدها مبنية من المواد المحـــلية ، والبعض منها لازال صامداً لم يصبها الخراب ، مع العلم أن تاريخ بنائها يعود إلى الوراء أكثر من ثلاثة قرون • انظر : ابن جريس ، بلاد بني شـــهر ، ص ٧٤ ومابعدها، ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـــ، ص ٤٢ ومابعدها •

١٠١- Philby, Arabian, P. 113.

من يزور بعض البيوت القديمة في مدينة أبها ، وخميس مشيط اليوم ، بل من يشاهد بعض المتاحف المحلية في المنطقة فإنه سوف يلاحظ ما ذكره فيلبي ، وغالبية تلك الأشكال والألوان كانت مستمدة من عصارة بعض النباتات والأشجار المحلية • انظر: ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـــ ، ص٥١ -٥٢، أيضـــاً تجـــربة الباحث ومشاهداته لأحوال وحضارة منطقة عسير خلال العشرين سنة الماضية •

١٠٢- Philby, Arabian, pp. 36, 38, 116, 137.

١٠٣- Ibid, p. 117.

١٠٤- Ibid, p. 116, 131.

١٠٥- Ibid, pp. 36,131, 139, 140.

١٠٦- Ibid, p. 136.

١٠٧- Ibid, p. 141.

١٠٨- Ibid, p. 136.

١٠٩- Ibid, p. 136.

١١٠- Ibid, pp. 39-40.

١١١- عندما جاء فيلبي إلى إقليم عسير (١٣٥١هـ/١٩٣١م) كان يوجد ببعض المراكز الحضارية الكبرى العديد من المؤسسات الحكومية السعودية المختلفة، انظــر : ابن جريس. عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص٣١ ومابعدها؛ ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ٤٤٣ ومابعدها.

١١٢- Philby, Arabian, pp. 141,148.

١١٣- Ibid, pp. 153-154.

١١٤- Ibid, pp. 150-1 .

١١٥- Ibid, pp. 115, 116, 117, 139.

ولـلمزيد مـن التفصيلات عن الطرق التجارية في إقليم عسير، انظر ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص١٦٣ ومابعدها.

١١٦- Philby, pp. 138, 141, 148.

١١٧- Ibid, pp. 36, 38-9, 114.

١١٨- Ibid, pp. 116-7, 137.

١١٩- خيبر قرية واقعة في منتصف الطريق بين بيشة وخميس مشيط.

١٢٠- Philby, Arabian, p. 137.

١٢١- Ibid, p. 38.

١٢٢- Ibid, p. 151.

-١٢٣ Ibid, p. 151.

وريال (مارياتريزا) عبارة عن قطعة نقدية من الفضة ضرب في النمسا عـــام (١١٩٥هـــــ/١٧٨٠م) ، وعـــرف من هذه العملة فئة أبو طاقية وقيمته عشرون قرشاً. ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـــ، ص١٨٣ .

-١٢٤ Philby, Arabian, p. 147.

-١٢٥ Ibid, pp. 123, 124.

-١٢٦ Ibid, pp. 36, 116,137,141,151.

١٢٧- انظر كتاب تاميزيه، رحلة ، ص ١٧ ومابعدها .

١٢٨- المصدر نفسه ، ص١٨ ومابعدها، و انظر كتاب جاكلين بيرين :- اكتشاف جزيرة العرب، ص٢٥١ ومابعدها.

-١٢٩ Cornwallis, Asir, p.3;

الجاســـر، " فيلبي رحلاته في بلاد العرب " مجلة العرب، ص١٠٥-١٠٨، جورج رنتز " فيلبي مؤرخاً للمملكة ..." ، ص٦٢ ومابعدها.

١٣٠- انظر : Cornwallis Asir, pp. 3ff.

١٣١- تاميزيه ، ص ١٥-١٦ ، Cornwallis, p.3ff.

ج. نورتون " فيلبي رجل الجزيرة العربية " ،ص١٥٢ ومابعدها .

E.Monroe, Philby of Arabia, pp. 1ff.

١٣٢- انظر : Cornwallis , Asir, pp. 7 ff.

١٣٣- الجاسر " فيلبي رحلاته في بلاد العرب " ،ص ١٠٦ ومابعدها ؛ ج. رنتــز " فيـــلبي مؤرخاً للمملكة .." ، ص٦٣ ومابعدها ؛ ج. نورتون " فيلبي رجل الجزيرة العربية " ، ص١٥٣ ومابعدها.

١٣٤- تاميـــزيه ، رحلة ، ص٢٥ ومابعدها ، كما انظر أيضاً ، ص٣٢ ومابعدها، ٣٤٨- ٣٥٠ .

١٣٥- انظر : Philby, Arabian, pp. 3ff.

١٣٦- تاميزيه ، رحلة ، ٩٣، ٩٥، ١٠٩ ، ١١٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ ومابعدها .
Cornwallis, Asir, pp.7 ff, Philby, Arabian, pp. 111f, 140,151, 161 ff.

١٣٧- انظر : Cornwallis, Asir, pp. 7 ff.

١٣٨- انظر: lby, Arabian, pp.111,112,113, 123,124,140,151.

١٣٩- لمـــزيد من التفصيلات عن الحياة السياسية في عسير أثناء مجيء تاميزيه إليها انظـــر : النعمي ، تاريخ ، ص١٣١، عسيري ،عسير، ص١٢٤ ومابعدها، ابن جريس . بلاد بني شهر، ص٥٢ ، مقدمة المترجم لكتاب تاميزيه (محمد آل زلفه) ، ص٧ ومابعدها .

١٤٠- المصادر نفسها .

١٤١- المصـــادر نفسها ، وانظر : عاكش . الدر الثمين، ص٦ ومابعدها، العقيلي، المخلاف السليماني ، ط١ ، ص٤٤٧ ومابعدها .

١٤٢- تاميزيه ، رحلة ، ص١٩٥، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ وما بعدها .

١٤٣- انظر: Cornwallis, Asir, pp.25-31

١٤٤- Ibid, pp. 25 ff.

١٤٥- Ibid, pp. 28 ff.

١٤٦- Philby, Arabian, pp. 36, 123, 129, 161f.

١٤٧- تاميزيه ، رحلة ، ص٥٧ ومابعدها، ١٠٣، ١٥١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٢ ، ٢٦٦، ٢٧٧ ومابعدها .

Cornwallis, Asir, pp.32ff, Philby, Arabian, pp. 123ff, 161ff.

١٤٨-انظر: (تاميزيه)،و(Philby) الصفحات التي في الملاحظة السابقة (١٤٧)٠

١٤٩- انظر : Cornwallis, pp. 32-83.

١٥٠- المصـــدر نفسه ، PP.32. ، وانظر : مراجع أخرى تحدثت عن القبائل في عسير، مثل: فؤاد حمزة ، في بلاد عسير، ص١٦٠ ومابعدها ، محمود شاكر، عسير، ص٤٣، ومــا بعدهــا ، الألمعـــي ، رحلات في عسير، ص٤٩، ومابعدها٠ أيضاً انظر: عمر العمروي٠ قبائل عسير في الجاهلية والإسلام، جـــ١، ص٢٥ ومابعدها٠

١٥١- تاميزيه ، رحلة ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٥، ٢٣٥، ٣٤٤ ٠

١٥٢- Philby, Arabian, p. 141, 148

وعـــن بعـــض العناصر التي كانت تعمل في المؤسسات الحكومية أثناء زيارة فيلبي لمنطقة عسير، انظر : ابن جريس ، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص٣١ ومابعدها،وللمؤلف نفسه انظر أيضاً : تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)جـــ١ـــ ص٥١ ومابعدها٠

١٥٣- تاميزيه ، رحلة ، ص١٣٥ ، ١٥١، ١٧٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ومابعدهـــا [وانظر مقدمة المترجم لكتاب تاميزيه] (محمد آل زلفة)، ص ٢٣ ٠

١٥٤- انظر : Cornwallis, Asir, pp. 84 ff.

Philby, Arabian, pp. 36,37,112, 117, 123, 129, 136, 148.

١٥٥- انظر : Cornwallis, Asir, pp. 84-103.

١٥٦- تاميزيه ، رحلة ، ص٢٢٠-٢٢١، ٣٢٦ ، ٢٥٦، ٢٩٣ ومابعدها ،

Philby, Arabian, pp. 29, 37, 113, 117.

١٥٧- Philby, Arabian, pp. 38, 39,113-4, 117, 129, 131, 139, 151.

١٥٨- Ibid, pp. 113-4.

١٥٩- Ibid, pp. 36, 116, 117, 137,139,140.

١٦٠- Ibid, pp. 136, 140.

١٦١- Ibid, pp. 36,131,139,140.

١٦٢-لمزيد من التفصيلات عن هذه العادات في منطقة عسير ، انظر : ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠، ص٧٤ ومابعدها ٠

١٦٣- انظر : Philby, Arbian, p.136.

١٦٤- Ibid, p. 39 - 40.

١٦٥- تاميزيه ، الرحلة ، ص١٤٣، ٢٤٠، ٢٨٦، ٣٢٦،

Philby, Arabian, pp. 135, 136, 137, 138.

١٦٦- **Philby, Arabian, pp.111,112, 141,151.**

١٦٧- **Ibid, pp. 141,148.**

١٦٨- **Ibid, pp. 136, 139.**

١٦٩- **Cornwallis, Asir, pp. 104 ff.**

١٧٠-انظر: **Ibid, pp. 18-23. pp. 36,38,116,137,138,151-2.**

١٧١- انظر أيضاً إلى : **Philby, pp. 38, 116,137, 138.**

١٧٢- **Ibid, pp. 138, 148.**

١٧٣- **Ibid, pp. 36, 116, 137, 141,151.**

ح ـ المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- **الألمعي ، يحيى إبراهيم** . رحلات في عسير (جدة : مطابع دار الأصفهاني ، د.ت) جـ١ .
- **بيرين ، جاكلين** . إكتشاف جزيرة العرب (خمسة قرون من المغامرة والعلم) . ترجمة قدري قلعجي . (بيروت : دار الكتاب الغربي ، د.ت) .
- **تاميزيه ، موريس** . رحلة في بلاد العرب ، الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) . ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفه (الرياض : مطابع الشريف، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) .
- **الجاسر ، حمد** . " فلبي : رحلاته في البلاد العربية " مجلة العرب (عام ١٤٠٩-١٤١٠هـ) مج٢٤، ص١٠٥ - ١٠٨ .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . " وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) . مجلة العرب، جـ٣-٤ (سنة/٢٨) (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص١٥٤-١٧٠ .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، (الجزء الأول) .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل " مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول (مارس/١٩٩٤م) ،ص٧٣-١٠٠ .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جده : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) .

- **ابن جريس ، غيثان بن علي** . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤-١٩٦٦م) (جده : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) جـ١ .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض ، مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .
- **ابن جريس، غيثان بن علي** . عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية في الحياة الإدارية والاقتصادية) (جده : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .
- **الحفظي ، إبراهيم بن علي زين العابدين** . تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون. تحقيق وتعليق ، محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري (د.ت ،١٤١٣هـ).
- **حمزة ، فؤاد** . في بلاد عسير. ط٢ (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .
- **درويش ، مديحة أحمد** . تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين . (الرياض : دار الشروق ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- **رنتز ، جورج.** " فيلبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية ". ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي . مجلة الدرعية (السنة الأولى ، عدد (٢) ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص ٦١-٨٦ .
- **شاكر، محمود.** شبه جزيرة العرب- عسير. ط٣ (بيروت - دمشق : المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- **الصياد ، محمد محمود** . " الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ". دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الأول.

مصـــادر تاريخ الجزيرة العربية، جـ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود- الرياض سابقاً، ١٣٧٩هـ /١٩٧٩م) ص ٤٣٧ - ٤٤٤ .

- **عاكش، حسن بن أحمد** . الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض. تحقيق عبدالله بن علي بن حميد (د.ن، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

- **عبد القادر، عبد الشافي غنيم** . " الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين " دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الأول. مصادر تاريخ الجزيرة العربية. جـ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود- الرياض سابقاً، ١٣٧٩هـ/١٩٧٩م) ص ٤٢١ - ٤٣٦ .

- **عسيري، علي أحمد**. عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

- **العقيلي، محمد بن أحمد**. تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) جـ١ .

- **العمروي ، عمر غرامة**. قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩١م) (جزءان).

- **الملكاوي ،حنان سليمان** . العلاقات بين أمراء الأدارسة في عسير واشراف مكة (١٩٠٨/١٩٢٥م). منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة رقم (١٢) (عمان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

- **النعمي ، هاشم سعيد**. تاريخ عسير في الماضي والحاضر (د.ن / د.ت) .

- **نورتــون، ج٠د٠** " فيلبي رجل الجزيرة العربية " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العــربية (الكويت، العدد الثالث، جمادى الثانية ، ١٣٩٥هــ) ، ص ١٥١-١٥٩ ٠
- **الهمدانــي، الحســن بــن أحمــد** ٠ صفة جزيرة العرب٠ تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ، ١٣٩٧هــ/ ١٩٧٧م) ٠
- **وهــبه، حــافظ٠** جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط٥ (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٨هــ/١٩٦٧م) ٠

ثانياً : المصادر الأجنبية :

- **Cornwallis, Sir Kinahan.**
  Asir before World I War (Handbook)
  (Cambridge, 1976).
- **Hogarth D.G. Hejaz before World War I (Handbook)**
  (Cambridge, 1978).
- **Monroe, El.Zabeth. Philby of Arabia (London, 1973).**
- **Philby, H. St. J.B. Arabian Highlands (New York,**
  1976).